

فرنسا جيره

الجوسياسية الجديدة





© المجلة العربية، 1435هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جيربي، فرانسوا

الجيوستراتيجية الجديدة: الحرب والسلام في عصرنا الحالي. / فرانسوا جيربي؛ هلا أمان الدين. -

الرياض، 1435هـ

128 ص : 14 × 19 سم

ردمك : 0-54-8138-603-978

1 - العلاقات الدولية 2 - الدبلوماسية 3 - الحروب أ. العنوان ب. أمان الدين، هلا (مترجم)

1435/693

ديوي 327.1011

رقم الإيداع: 1435/693

ردمك: 0-54-8138-603-978

الطبعة الأولى 1435هـ / 2014م

جميع حقوق الطبع محفوظة، غير مسموح بطبع أي جزء من أجزاء هذا الكتاب، أو اختزانه في أي نظام لاختزان المعلومات واسترجاعها، أو نقله على أي هيئة أو وسيلة، سواء كانت إلكترونية أو شرائط ممغنطة أو ميكانيكية، أو استنساخاً، أو تسجيلاً، أو غيرها إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة مع وجوب ذكر المصدر.

رئيس التحرير: د. عبد الله نعمان الحاج

لمراسلة المجلة على الإنترنت:

www.arabicmagazine.com info@arabicmagazine.com

الرياض: طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين)، شارع المنفلوطي

تليفون: 1 4778990-966 فاكس: 4766464-966-1 ص.ب: 5973 الرياض 11432

هذا الكتاب من إصدار: Larousse

La Nouvelle Géopolitique

Copyright ©2012 All rights reserved.

تأليف: François Géré

رسم الخرائط: Légendes Cartographie, Nadine Martres

فرنسوا جيرييه

الجيوسياسية الجديدة

الحرب والسلام
في عصرنا
الحالي



ترجمة: هلا أمان الدين

المحتويات

7

مقدمة

9

الحرب والسلام: توأمان أبديان

10

انبثاق نظام جديد

14

الحرب والسلام: تناوب في الظهور

16

خدع، وسوء تفاهم، وسواها من الحلقات المفرغة

18

الحرب، استراتيجية ودفاع

23

لماذا تنشب الحروب؟

24

ظروف نشوب الحرب

31

دوافع الحروب

42

قوس الأزمات

46

الإنسان في مواجهة الحرب

53

الحرب والتقنيات المتطورة

54

وسائط الحرب الحديثة

66

الثورة في العمليات العسكرية

71

صانعو السلام

72

نماذج السلام: ثابت، غير ثابت، واقعي وطوباوي

75

التفكير بالسلام: بين الطوباوية والبراغماتية

80

المنظمات المنادية بالسلام وآلياته

87

وسائل الإعلام بين الحرب والسلام

91

الملفات الحالية الكبرى

92

أسلحة الدمار الشامل

95

الإرهاب إلى تراجع لكنه مستمر

106

نظرة استشرافية

114

لمزيد من الاطلاع

114

النزاعات الرئيسية في العالم منذ عام 1945

118

المناقشات المعاصرة حول الحرب والسلام

123

فهرس المصطلحات



مقدمة

يقوم

هذا الكتاب على رفض الأفكار التجريدية التبسيطية: كتلك التي تضع الخير مقابل الشر، أو التي تتحدث عن صراع الثقافات. لا شك في أن انتهاء مرحلة الاستقطاب الثنائي عام 1989، هي التي أطلقت التعددية السياسية، الدينية، والاقتصادية في العالم أجمع. إلا أن القبول بالتنوع مسألة صعبة، لأن المعالم قد تبدو ضبابية وغير وافية. هذا الكتاب يهدف إلى تزويدنا بمعالم واضحة يمكن الارتكاز عليها. تضع المجتمعات البشرية نصب أعينها هدفين اثنين: الحفاظ على وجودها، وزيادة ازدهارها. وتحقيق هذه المهمة قد يتم عبر السلم والحرب. وعلى الرغم من أن هذين المفهومين يبدوان متناقضين إلا أنهما مترابطان بشكل وثيق؛ فهما متضادان، وفي الوقت نفسه، يولد أحدهما الآخر بصورة تبادلية متعاقبة. ولا شك في أن المصالح المادية (كالنفط) تضطلع بدور بارز في ذلك، غير أن هذا الدور لا يتعاضد إن لم يجد له في الثقافة والمفاهيم، وفي المعتقدات والمشاعر القومية، أرضاً خصبة.

يشد الرباط ما بين الحرب والسلم بالمعنى الإيجابي للكلمة، على الرغم من التذبذب والضياع اللذين يغلفانه. تغير الحرب القيم والاتجاهات: فالحرب تخلق شروط السلام الدائم عن طريق إعادة بناء البلاد أو المنطقة المتضررة. وتستثمر حالة السلم العناصر الأولى للاستراتيجية الفعالة. فنظرة الشعوب أصبحت أقل شمولية وأكثر براغماتية، وهي تعلمت كيف تحتل الأراضي تدريجياً، عوضاً عن السعي إلى السيطرة على العالم أجمع دفعة واحدة. أصبحت الاستراتيجية العسكرية «شاملة» أكثر فأكثر. وقد يجري الحديث أيضاً عن «عمليات إعادة إحلال السلام» أو عن «استعادة الاستقرار». هل يتعلق الأمر باستخدام تعابير ملطفة؟ في الواقع ليس الأمر كذلك، إذ إنه بالنسبة إلى الغربيين وبعض الدول الآسيوية بالتحديد، لا يمكن تصور الحرب إلا ضمن إطار زمني محدد ومن خلال مقدار العنف الذي يُستخدم. من هنا نجد أن الحروب لم تعد تجري كما كانت في السابق، معرضة الشعوب في الكثير من الأحيان إلى الأساليب القديمة في القتال والمعارك العشوائية. ومع ذلك فإن شروط استخدام القوة أصبحت مقيدة أكثر فأكثر.

على الرغم من ذلك، علينا أن نحترس من كل رؤية شديدة التمرکز حول الجزء الذي «يخصنا» من هذا العالم. وأن نضع العلاقة ما بين الحرب والسلم، في إطار تعدد الثقافات وكذلك تعدد المشاعر القومية.

إن تطور العلاقة بين الحرب والسلم يقودنا إلى مفهوم أساسي: ما هي قيمة حياة الإنسان بالنسبة إلى إنسان آخر؟

جندي احتياط أميركي يستعد للالتحاق بوحدة في العراق. لقد تبين أن مشاركة القوات الأميركية في الحرب التي أدرجت ضمن مفهوم الحرب الاستراتيجية، قد كلفت البشرية أثماناً باهظة.



ظهرت منذ بداية القرن الحادي والعشرين جيوسياسية جديدة في ما يتعلق بالحرب والسلام. اعتاد العالم أن يعيش وفق منطق الحرب الباردة طوال أربعين عاماً، هذا المنطق الذي يمكن اختصاره بما يلي: «السلام ليس متاحاً، والحرب ليست محتملة». فكتلة الدول الغربية والكتلة السوفياتية أبطلتا مفعول بعضهما بعضاً بالتناوب في ما يتعلق بالتهديد النووي، وكانتا تتواجهان بطرق غير مباشرة فوق أراضٍ جانبية كأفريقيا أو آسيا، لكن مواجهاتهما كانت تتسبب بالقتل والدمار. أما اليوم فقد تغيرت المعطيات، بعد أن أصبحت الولايات المتحدة الأميركية القوة المسيطرة الوحيدة، وأصبح الإرهاب يشكل تهديداً جديداً. على الرغم من ذلك، ما زالت تلك القصة المغرقة في القدم حول الحرب والسلام، تزودنا بدروس لا نستطيع تجاهلها.

شارلمان (Charlemagne) في المعركة، صورة مصغرة مأخوذة من لوحة جان فوكيه (Jean Fouquet) من ضمن مجموعة «معارك فرنسا الكبرى».

الحرب والسلام: توأمان أديان



انبثاق نظام جديد

يقول الكاتب الاستراتيجي البريطاني ج. ف. فولر (J. F. Fuller): «إن هدف الحرب هو البحث عن سلام أفضل». هذا مؤكّد ولكن من يستفيد من ذلك؟ وما هي الشروط؟ وماذا نعني بعبارة حالة من السلام الدائم؟

منذ العصر الحجري الحديث، لا تزال متلازمة الحرب والسلام، في كروفر عبر الزمان والمكان. وفي تعاقبهما الثابت هذا تبدو الحالتان كأنهما الوجهان المتعاكسان لنشاط المجتمعات البشرية. بحيث أصبحت مرحلة السلم مرادفة للعمل النشط، الذي ينتج عنه الغنى والرخاء، والذي يؤمن الحياة الرغيدة والازدهار الثقافي للمجتمع. وأصبحت الحرب مرادفة لمرحلة

التدمير، والعنف الموجه نحو البشر والممتلكات. فهي تعكّر مجرى الاقتصاد، وتعطل التجارة، وتحطم الآثار الفنية. باختصار، إن متلازمة الحرب والسلام تمثل الخير والشر. فهل هذا صحيح؟ لا شك في ذلك. إن أي شخص سواء أكان مقاتلاً أم لا، طبيباً أو صحافياً، لديه تجربة في إطار حرب ما، يعلم جيداً ما الذي تعنيه هذه الحالة المفاجئة من المخاطر الجسيمة التي تطال كل شيء، بدءاً من حياته الشخصية نفسها. إلا أن اختصار الموضوع بهذا التناقض لن يشعر أحداً بالرضى. فالأمر يتعلق باستكشاف حقيقة معادلة حرب - سلم كما تبلورت في بداية القرن الحادي والعشرين. إن الجزء الغربي من العالم الذي تقاسم مع اليابان التقنيات العالية، والمستويات المعيشية المرتفعة، إضافة إلى معدلات أعمار طويلة تتميز بالثبات، ترك مقاليدته لتصورات ذهنية مبنية على التجارب المرعبة الناتجة عنه الكوارث التي حصلت في النصف الأول من القرن العشرين، وعلى صقيع الحرب الباردة من خلال التوازن بين القوتين النوويتين أثناءها. «السلم ليس متاحاً، والحرب ليست محتملة» هذا ما قاله ريمون أرون (Raymond Aron) بالتحديد. على الرغم من ذلك، كانت بقية دول العالم تعيش خلال مرحلة الحرب الباردة معادلة حرب - سلم بطريقة مختلفة تماماً. بعد أن ساهمت بتمزيق الدول المستعمرة عالمياً، عبرت الدول الآسيوية والأفريقية خلال الفترة الممتدة ما بين 1950 و1970 إلى التحرر المشوب بالعنف، ومن ثم

التسلسل الزمني لأحداث الحرب الباردة

1946: أعلن ونستون تشرشل (Winston Churchill) أن «ستارة من الحديد سقطت على أوروبا».

1948: قامت القوات السوفياتية بحصار برلين.

1949: تأسيس حلف شمال الأطلسي («الناطو») الهادف إلى احتواء التهديد الشيوعي لأوروبا.

1950 - 1953: الحرب الكورية، التي تواجّهت فيها الولايات المتحدة وحلفاؤها مع الصين والاتحاد السوفياتي.

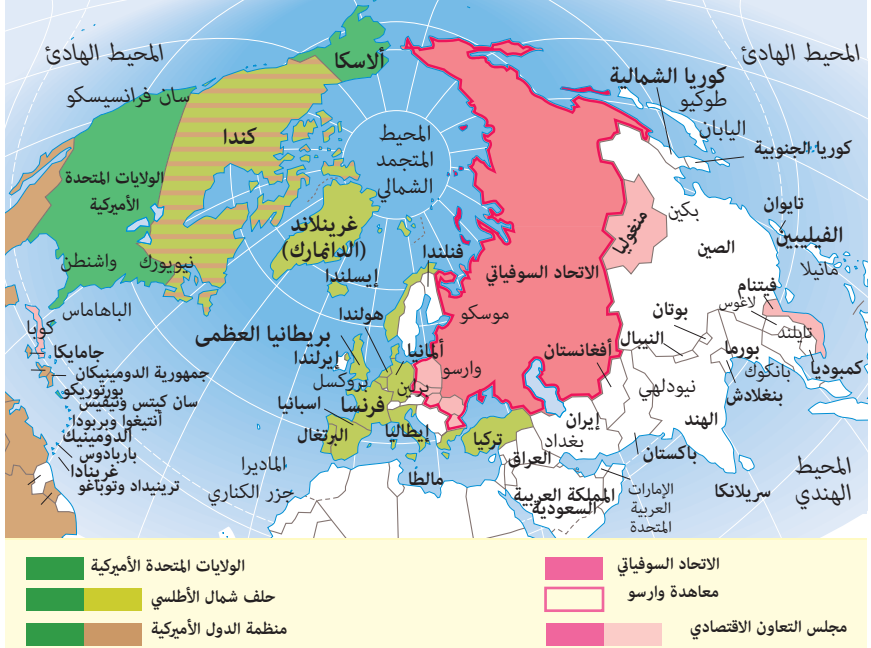
1955: توقيع معاهدة وارسو التي ضمت القوات المسلحة السوفياتية وقوات الدول الاشتراكية في أوروبا الوسطى.

1962: الأزمة الكوبية التي سببتها عملية نصب الصواريخ السوفياتية (التي أجهضت) في الجزيرة.

1965 - 1975: الحرب الفيتنامية. حيث تواجّهت القوات الأميركية مع قوات فيتنام الشمالية الشيوعية المدعومة من الصين.

1987: توقيع أول اتفاق لنزع الأسلحة النووية ما بين موسكو وواشنطن.

1991: تفكك الاتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة.



كبر: حلف شمال الأطلسي مقابل حلف وارسو. ما بين عامي 1948 و1991 سيطر على العالم حلفان عسكريان كبيران: حلف الناتو بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وحلف وارسو بقيادة الاتحاد السوفياتي.

أصبحت مسرحاً للمواجهات الجانبية ما بين القوتين العظميين (فيتنام، أنغولا، موزمبيق). أما في الخلفية وفي أماكن أخرى، فقد استمرت النزاعات العرقية العنيفة والخلافات على الحدود التي رسمت بطرق عشوائية من الدول الاستعمارية السابقة، والتي غالباً ما تقع فوق حقول من الثروات الطبيعية.

إلى أين وصلت الأمور اليوم؟ إن تغير الألفية أتاح الفرصة لإعادة ترتيب الخطط المستقبلية، وأساليب التفكير. في المقابل - والأمر محض صدفة - تزامن هذا التغيير مع نهاية الحرب الباردة وانحيار الإمبراطورية السوفياتية، وتحول موازين القوى في العالم إلى جهات أخرى، لم يتضح نطاقها واتساعها إلا بصورة تدريجية.

برزت اليوم جيوسياسية جديدة للحرب والسلام. مستفيدة من الفراغ الذي تركته روسيا خلفها، بدأت القواعد الأمريكية المتقدمة بالسيطرة على آسيا الوسطى، يقابلها من الشرق الصينيون في تشينجيانغ، وهم أصحاب الأرض الأوائل. من جهته، اكتشف الاتحاد الأوروبي بتوسعه نحو الشرق، مناطق جديدة مجاورة له مباشرة، مثل أوكرانيا، روسيا، تركيا، وهي مناطق ذات تاريخ عريق أيضاً.

إنه مظهر آخر من مظاهر الحدائث التي يعكسها تعدد القوى المسلحة الخاصة، التي لا تشبه في شيء الجيوش المرتزقة التي عرفتها العصور الغابرة (راجع الفصل الثالث). الإرهاب الدولي، وعنف التنظيمات الإسلامية عبر القارات، الذي تجاوز تأثيره العالم العربي، تمكن من تحويل كوكبنا هذا إلى «منظومة جغرافية ذات صراعات متبادلة».

مهما كان شكل الحكم في الدول (إمبراطوري، ملكي، جمهوري...)، فإن قوة هذه الأخيرة تشهد مع مرور الزمن تغيرات ذات أهمية في بعض الأحيان، قد تؤدي إلى سقوطها ببساطة وسهولة من أعلى القمم إلى هاوية الانهيار. هناك فئتان من القوى: قوى الوضع الراهن وقوى الاضطرابات.

قوى الوضع الراهن

إن الحفاظ على التفوق المكتسب وعلى الازدهار الذي يتحقق بفضلها بشكل هدف قوى الوضع الراهن. نجد أن هناك فئتين ضمن هذه الفئة نفسها: قوى الوضع الراهن السلبية وقوى الوضع الراهن الناشطة. الأولى تحافظ على امتلاكها للسيطرة وللدور القيادي عن طريق إنشاء قوة دفاعية قوية وثابتة. وخير دليل على ذلك الحصون الرومانية وسور الصين العظيم التي حالت دون الوصول إلى أراضي الإمبراطورية. وقد أخذت استراتيجيات الدفاع المضادة للصواريخ الباليستية بهذه العملية معتمدة على التقنيات المتطورة. أما الفئة الثانية فهي تلك التي تسعى للحفاظ على تفوقها عن طريق اللجوء إلى استراتيجيات دفاعية فعالة تتضمن القيام بنشاطات إقليمية، مواكبة التفوق التكنولوجي، والتخلص من المنافسين المحتملين.

كما تتضمن أيضاً القيام بمبادرات وقائية على شكل حملات تهدف إلى الحد من التهديد الذي تشكله الدولة المنافسة عبر الدخول إلى أراضي تلك الدولة لتدمير قدراتها العسكرية على المدى الطويل. نلاحظ وجود هذا المبدأ العسكري الاستراتيجي بصورة مستمرة عبر التاريخ. وهو يتوافق عموماً مع مناورات دبلوماسية معقدة يتم اللجوء من خلالها إلى الحلفاء، كما فعل بسمارك (Bismarck) ما بين عامي 1870 و1900. هذا الوضع الذي يتميز بأنه أكثر عدوانية من سابقه، يتوافق حكماً مع الكثير من الغموض. ألا يخفي ذلك الرغبة في توفير الفرص للتفوق من جديد، تحت قناع الحفاظ على الوضع الراهن؟ إلا أن المسألة تكمن في معرفة متى تنتقل الدولة من حالة من القوة إلى أخرى، وما هي المعايير التي تعتمد عليها لكي تختار هذا الوضع الاستراتيجي أو ذاك؛ ومعرفة متى تصل قوة الدولة إلى أوجها (مقارنةً بالمعايير المستخدمة في الحرب، أعلى مستوى من الهجوم). متى يشعر الوحش الكبير المنتصر بالاكتماء من القتال؟ السؤال نفسه يطرح بالنسبة إلى فتوحات الإسكندر، جنكيز خان، نابوليون: إلى أين كانوا يرغبون بالاستمرار؟ متى ولماذا قررت الإمبراطورية الرومانية أن أهدافها قد تحققت وأن امتدادها أصبح كافياً؟ بعد انتهاء الحرب الباردة، ظل موقع الولايات المتحدة الأميركية ملتبساً. إلا أنها حققت أهدافها منذ تسعينيات القرن العشرين، حين كان جورج بوش الأب رئيساً. قام فريق بقيادة ريتشارد تشيني وبول ولفوفيتز وإسماعي خليل زاد بوضع



في هذا الكاريكاتور الذي ظهر في إحدى الصحف الفرنسية عام 1870، يلوح أوتو فون بسمارك (Otto Von Bismarck) بخطر القيام بالحملات العسكرية، متخفياً وراء ملك بروسيا.

توجيهات تتعلق بخطة استراتيجية تهدف إلى تأكيد التفوق الدائم للولايات المتحدة الأميركية، معتمدين على فكرة إلغاء أي منافس لها بحجم الاتحاد السوفياتي. ذلك أنه في العام 2000، كانت أهداف المحافظين الجدد أبعد من مجرد التأكيد على امتلاك القوة. فقد كانوا يرغبون بجعل الولايات المتحدة المخرب المرغوب فيه لإعادة هيكلة الأنظمة الإقليمية، لا سيما في الشرق الأوسط، وفقاً لتصوراتها، وقيمتها ومصالحها. إلا أن «البرابرة»، لم يكونوا في متناول يد الولايات المتحدة. وحدها أحداث 11 أيلول/ سبتمبر هي التي استطاعت إعطاء هذه الفكرة صدقية بالنسبة إلى الرأي العام.

قوى الاضطرابات

هناك ثلاثة أنواع من الاضطرابات:

– تصاعدية، إما سعيًا وراء المزيد من القوة، وإما بسبب وجود مخربين محتملين، أو احتجاجات على استمرار الوضع الراهن لنظام لا يلبي حاجات المواطنين. من الواضح أن الدول الكبرى الحديثة النشأة تنتمي إلى هذه الفئة، وكذلك تلك القوى التي تقل عنها حجمًا مثل إيران وتركيا. فالاتحاد الأوروبي معرض للاضطرابات، من منطلق كونه قوة حديثة العهد على الساحة العالمية، إلا أن محدودية أهدافه وطبيعتها المحافظة تجعله أقرب إلى قوى الوضع الراهن. هذا التناقض يسلط الضوء على الصعوبة التي يواجهها الاتحاد الأوروبي كي يثبت نفسه كقوة عالمية.

– انحدارية، وهي تلك التي تفقد سطوتها ويثير تفككها الفوضى، التي تشكل فرصة للمعارضين للتحرك، يحرضهم على ذلك الضعف الذي دبّ في «الرجل المريض»، كما قيل عن الإمبراطورية العثمانية. إلى متى يستمر الانحدار؟ هنا يجدر بنا أن نلاحظ المؤشرات في ضوء الربط ما بين مجريات الأحداث ومدى استمراريتها (الوضع الديموغرافي والصحي، الأمن الداخلي، مدى نشاط السوق السوداء...).

– أخيراً، تسعى بعض القوى التي تجد نفسها في طريق الانحدار إلى وقف هذا التمزق واستعادة جزء من سطوتها وهيبته، وهذا ما بدت عليه فرنسا في بدايات العهد الديغولي. متى تبدأ عملية الإصلاح؟ وما هي الوسائل

المعتمدة؟ هل للقوى النووية والمدنية والعسكرية، إلى جانب توافر مصادر الطاقة، تأثير فعال في إعادة الاعتبار إلى الدول الأخذة في الانحدار، كما حصل بالنسبة إلى روسيا التي بدا كأن امتلاكها للسلاح النووي شكل الورقة الرابحة التي رمت منزلتها المتراجعة؟

عودة إلى الحالة الطبيعية للعالم

نحن اليوم نكتشف، أو ندعي أننا نكتشف، تهديدات جديدة وأشراها جديداً على الساحة: جرائم ذات تنظيم عال، قرصنة، تجار مخدرات وأسلحة وماس وفساد، إضافة إلى مهربي المهاجرين غير الشرعيين. ولا شك في أن هؤلاء المجرمين يلجأون إلى التكنولوجيا المتطورة في مجال التسليح بل وأيضاً في مجال الاتصالات. ومن غير أدنى شك في أن الأسواق قد توسعت وأن الإمكانيات أصبحت أكثر وأسرع مما كانت عليه في ما مضى – تبقى هذه الأمور على ارتباط باستراتيجيات الاستثمار التي تحافظ على جذورها المحلية بقوة، والتي لا تظهر إلا عند تعرضها للمنافسة القوية. على أي حال، هذه التقنيات ليست جديدة. وللتأكد من ذلك يكفي أن نعيد قراءة قصص المغامرات في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (بيار لوتي (Pierre Loti)، هنري دو مونفريد (Henry de Monfreid)، قصص «الصليبيين» الصفراء والسوداء).

الحرب والسلام: تناوب في الظهور

خلال فترة السلم تتراجع الأوضاع وتنشأ الآلية التي تقود إلى نشوب الحروب. وبخلاف ذلك، فإن الخروج من الحرب يؤمن الشروط التي تسمح بسيادة فترة من السلم طويلة الأمد.

في غالبية الأحيان، لا تعدو نهاية حرب ما كونها «مرحلة ما بين حربيين»، عوض أن ترسي دعائم سلم طويل الأمد، فهي في الواقع ليست سوى مرحلة قد تطول أو تقصر وتبقى خلالها الأمور معلقة، فيما توجه الجهود نحو إعادة بناء القوى والتحصير لاستئناف الحرب من جديد. سوف تتوافر، بعد نهاية الحرب والخروج منها، الشروط المطلوبة لسيادة فترة من السلم طويلة الأمد. لهذا السبب، على المتحاربين الحازقين أن يبدأوا بالتحضير لمرحلة السلم حتى قبل انتهاء العداوة في ما بينهم.

إن معاهدة الاستسلام من دون شروط، أي الإذلال التام، تغذي الرغبة بالانتقام. ولا شك في أن الولايات المتحدة الأميركية هي من أرادت سحق ألمانيا واليابان عام 1945. إلا أن الإمبراطور الياباني هيروهيتو (Hirohito) ظل على رأس الدولة، الأمر الذي أدى إلى اتساع الهوية ما بين الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي، كما أن وجود الشيوعيين على رأس السلطة في الاتحاد السوفياتي والصين دفع الولايات المتحدة الأميركية كي تسارع إلى إعادة تصحيح الأوضاع الاقتصادية في ألمانيا الغربية واليابان، حيث أوجد المحتل حالة من الازدهار. بخلاف ذلك، فإن انتهاء الحرب بصورة سيئة، مع ما يليها من معاهدات مفككة، تتضمن شروطاً غير قابلة للتطبيق، ينتج ظروفاً مؤاتية لنشوب حرب قريبة. من هذا المنطلق تمنى بسمارك عام 1870 عدم إهانة فرنسا، إلا أن اقتطاع منطقة الألزاس واللورين بطلب من مجلس القيادة الأعلى لم يلق القبول مطلقاً من باريس، ما أدى إلى نشوب المواجهات عام 1914.

هذا ما حصل أيضاً بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، إذ انطلقت منها الأسس

الجنرال الأمريكي دوغلاس ماك آرثر ينظر إلى المبعوث الياباني الذي يوقع معاهدة الاستسلام من دون شروط، التي أبرمت مع اليابان على متن السفينة الحربية ميسوري في الثاني من أيلول/سبتمبر من العام 1945. وبدءاً من عام 1949، ومن خلال معاهدة الاستسلام هذه، بدأت حقبة جديدة من التعاون الوثيق بين الأميركيين واليابانيين.



«التعويضات» الألمانية

«بغض النظر عن الأوجه الأخرى للموضوع، ومن ضمن ذلك الجنون السياسي الذي يتحمل مسؤوليته رجال السياسة لدينا، يبدو لنا أن الحملة التي أطلقت من أجل جعل ألمانيا تدفع تعويضات الحرب هي واحدة من أكثر أفعال الجنون خطورة على الإطلاق».

ج. م. كينز، «النتائج الاقتصادية للسلام»، 1920.



توقيع المعاهدة التي وضعت حداً للحرب العالمية الأولى، في فرساي، في الثامن والعشرين من حزيران/يونيو عام 1919. وقد أجرى المفاوضات بشأنها ج. كليمنصو (فرنسا)، د. لويد جورج (بريطانيا العظمى)، ف. إ. أورلاندو (إيطاليا)، و. ويلسون (الولايات المتحدة الأمريكية). هذه الوثيقة هي نموذج عن المعاهدات التي لا تسمح بإرساء دعائم سلام طويل الأمد.

التي أدت إلى نشوب الحرب العالمية الثانية. لقد تمكن عالم الاقتصاد البريطاني الكبير جون ماينار كينز من إعلان إنهاء السلام في وقت مبكر، أخذاً في الاعتبار معاهدات السلام الموقعة بين عامي 1919 و1920، وبصورة خاصة معاهدة فرساي.

أما في العام 1991، وكمثال أكثر حداثة، فقد أوقف رئيس الولايات المتحدة الأمريكية جورج بوش الأب جحافل الجيش الأمريكي المنتصرة في العراق. استجابة لطلب الأمم المتحدة التي كان هدفها تحرير الكويت، ورفض متابعة الزحف إلى بغداد. ومنذ تلك اللحظة اعتبر قسم من الطبقة السياسية الأميركية أن ذلك كان خطأ من قبله، ووضعوا نصب أعينهم القضاء على النظام العراقي وعلى صدام حسين شخصياً، وهو الأمر الذي حققته حرب 2003.

مكاسب السلام

إن عبارة «مكاسب السلام» توحى بأن الرجوع إلى حالة السلم يجب أن يؤدي إلى مردود اقتصادي إيجابي، من منطلق تخفيض الميزانيات المخصصة للتسلح. بعد انتهاء الحرب الباردة، وبعد أن ساد شعور بعودة السلام وانتهاء عهد التهديد المتبادل بالإبادة عن طريق استخدام الأسلحة النووية، ساد الاعتقاد بأن الناتو سوف يتمكن من استعادة القدرة على التحرك لمصلحة السلام العالمي، وهو الأمر الذي كان حتى ذلك الوقت مقتصرًا على الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن، والتي تملك حق النقض الفيتو. إلا أن هذه الأوهام سرعان ما تبددت في وقت لاحق، لا سيما بعد الحادي عشر من أيلول/سبتمبر من العام 2001.

خدع، وسوء تفاهم، وسواها من الحلقات المفرغة

قد لا يكون السلام سوى مجرد خدعة، وقد لا تكون بيانات الصداقة غير نفاق قاتل بالنسبة إلى أولئك الذين ينخدعون بها. إن انعدام الثقة المتبادل يدفع حتماً إلى التسلح.

إن المؤلفات الشرقية القديمة التي تناولت فنون الحرب (كتلك التي وضعها الصيني صن زي (Sun Zi) في القرن الخامس قبل الميلاد) تضم وفرة من الدروس حول «اللعبة المزدوجة أثناء السلم وأثناء الحرب». في القرن الثالث قبل الميلاد، وبخلفية مسبقة، نددت روما بالنوايا القرطاجية السيئة (la fides punica)، لكي تبرهن أن «السلم القرطاجي» (نسبة إلى قرطاجة في تونس) لم يكن سوى خديعة. ففقدان الثقة يؤدي إلى شكوك قهرية (مَرَضِيَّة) تجاه الآخر، وإلى ردة فعل غاضبة ومليئة بالكراهية، بعد اعتبار هذا الآخر صديقا مزيفا وأخا مزيفا. كما هو الحال مع «الارتياح من البريطانيين» وهي العبارة التي تترجم فكرة الفرنسيين المليئة بالشكوك على الدوام تجاه جيرانهم البريطانيين. على الرغم من ذلك، ومنذ العام 1815، لم يمنع هذا التصور فرنسا والمملكة



كارل فون كلاوزيفيتز (1780 - 1831). يُعتبر هذا الجزال الروسي مبتكر فن الحرب في العصر الحديث. ففي كتابه «ما يتعلق بالحرب» (De la guerre)، أبرز كلاوزيفيتز سمة العنف بصورة جوهرية، كما أكد على خضوعها التام للسياسة، حيث إنها لا تشكل سوى وسيلة تحرك معينة في إطار هذه الأخيرة.

المتحدة من التواجد جنبا إلى جنب خلال حربين عالميتين وأثناء رحلات استكشافية عديدة، منها ما كانت نتائجها سعيدة ومنها ما كانت نتائجها تعيسة، بدءا من القرم حتى السويس، وهما ما زالا كذلك حتى اليوم، في العديد من مجالات التعاون في أفريقيا الوسطى. لذا يمكننا أن نكون حلفاء من دون أن ننسى المنافسة الشديدة ما بين المصالح الوطنية. في المقابل، ما زلنا نذكر الثقة المتصلبة التي كانت لدى ستالين حيال الاتفاقية الألمانية - السوفياتية المبرمة عام 1939، والتي جعلته يرفض الالتفات إلى التحضيرات الألمانية للضربة التي وجهتها إلى الاتحاد السوفياتي، حتى إنه ذهب إلى حد إنكار الحقيقة لعدة أيام بعد بدء الهجوم الألماني في حزيران/ يونيو من العام 1941. إن الخيانة والتراجع المفاجئ يصبchan

عمليات خداع عسكري

الخدعة العسكرية هي عملية عسكرية حقيقية، إلا أنها ثاقوية، وهي تهدف إلى صرف إنتباه العدو عن العملية الرئيسية. إنها إحدى الأمثلة الكبرى عن الخداع في زمن الحروب. في العام 1940 أسند الجنرال واقل القائد الأعلى للقوات البريطانية في الشرق الأوسط إلى الكولونيل دابلي كلارك قيادة وحدة صغيرة تدعى «القوة أ»، مهمتها التخطيط والقيام بخدع عسكرية تصرف إنتباه العدو. وبعد مرور سنتين على ذلك، استنتج من تلك التجربة الدروس الأولى، حيث كتب: «الغاية الوحيدة للخدعة العسكرية هي أن تجرى بطريقة تجعل العدو يتصرف بطريقة تخدم خططنا وتنال من الانتصارات التي حققها. يجب أن نجعل هذه الخدعة العسكرية فاعلة، لا أن نكتفي بمجرد التفكير».

من أجل إنجاح إنزال قوات الحلفاء في النورماندي عام 1944 قامت القوات البريطانية بأكبر خدعة عسكرية في التاريخ. وكان هدفها إقناع هتلر ومعاونيه أن عملية الإنزال سوف تتم في با-دو-كاليه. وتضمن مخطط Bodyguard ست عشرة خدعة عسكرية. العمليتان الرئيسيتان اللتان أطلقت عليهما تسميتا «فورتيتود الشمالية» (Fortitude North) و«فورتيتود الجنوبية» (Fortitude South)، (كلمة Fortitude تعني الصبر والقدرة على التحمل، تطلبتا تشكيل قوات مسلحة وهمية: القوة

المسلحة البريطانية الرابعة في اسكتلندا، بقيادة الجنرال ثورن وهو ملحق عسكري بريطاني سابق في برلين، ومعروف من هتلر شخصياً. أنشئت مخازن للذخيرة في كينت قام الملك بتفقدتها بنفسه. تمتد على مسافة 34000 قدم، ولم تتمكن طائرات الاستطلاع الألمانية من التقاط صور دقيقة لهذه المواقع لتكتشف الخديعة. إضافة إلى تلك الوسائل المادية، كانت هناك الإمكانيات التقنية. فقد نفذت «القوات المسلحة الوهمية» مهمات انتقال يمكن تتبعها من الألمان، الأمر الذي عزز الاعتقاد بحدوث نشاط محموم حقيقي. أخيراً وبفضل الآلة أولترا (Ultra) التي سمحت للبريطانيين بفك شيفرة إنغيما (Enigma)، آلة الإرسال الألمانية المشفرة، عرف هؤلاء مع الوقت كيف يوجهون رسائلهم المضللة للألمان.

آلة بث الرسائل المشفرة الألمانية، المسماة إنغيما. فضل علماء رياضيات بولونيين يافعين تمكن البريطانيون خلال الحرب العالمية الثانية من «كسر» نظام التشفير لدى النازيين.



أكثر صعوبة يوماً بعد يوم نظراً للتعقيد في برامج التسلح الحديثة، والتأخير في تطوير أنظمة القوة. مع ذلك، وفي العديد من مواضع الصراع، يبقى توجيه ضربة «مفاجئة» تستغرق بضعة أسابيع، فرضية واردة. هذا ما كان يحدث أيام الحرب الباردة، أثناء المواجهات التي قامت ما بين حلف الناتو (الحلفاء الذين تقودهم واشنطن) وحلف وارسو (الحلفاء الذين تتزعمهم موسكو). بصورة عامة، يمكن القول أن انعدام الثقة يخرّب باستمرار إرساء سلام طويل الأمد. وهو على العكس من ذلك، يعزز الدخول في حلقة مفرغة عنوانها: سباق التسلح. في الواقع، ورغم صحة القول أن وجود الأسلحة بحد ذاته لا يثير المواجهات، إلا أن القلق الناتج من انعدام الثقة على المستوى السياسي يؤدي إلى الشعور بالحاجة إلى التسلح. وتبدو هذه الحاجة دفاعية بشكل أساسي. لكن عندما يكون من الصعب التمييز بين الحاجة إلى امتلاك قوة دفاعية فعالة واحتمال القيام بعدوان، وعندما تظل الخطط الاستراتيجية للدولة محاطة بالسرية، فسينشأ لدى الخصم المحتمل ميل إلى حماية نفسه، ويلجأ إلى زيادة حجم التسلح لديه.

الحرب، استراتيجية ودفاع

خلال القرن العشرين، كانت الدول في زمن الحرب والسلم تتصادم، ثم تموه هذا الصدام لتمحوه شيئاً فشيئاً. أما في عصرنا الحالي، فإن تسلح الدولة بحجة «الدفاع» يعني أنها تتحضر لمرحلة من الصراع المتواصل.



الضربة الجوية التي وجهتها الطائرات اليابانية إلى الأسطول الأميركي في بزل هاربر في السابع من كانون الثاني/ديسمبر من العام 1941. هذه القاعدة الواقعة في جزر هاواي، والتي أنشئت عام 1900، تمت تقويتها عام 1940، الأمر الذي شكّل تحدياً للإمبراطورية اليابانية من واشنطن.

كما أن الحرب لا يمكن أن تختصر بمعركة واحدة، فإن الاستراتيجية تحوط بالحرب كلها. من هذا المنطلق فهي تتسع لتشمل أوقات السلم أيضاً. ساد الاعتقاد لفترةٍ طويلة من الزمن أن الاستراتيجية هي ذلك الفن أو العلم الذي يمتلكه قادة الجيوش وأحياناً رؤساء الدول، والذي يختص بإدارة العمليات العسكرية ما إن تعلن الحرب.

الباحث الاستراتيجي الأميركي الأميرال ألفرد ماهان (1840 – 1914)، كان رائداً في استخراج الاستراتيجية من حالة الحرب المفتوحة لكي يسند إليها القدرة على توقع الأحداث أثناء مرحلة السلم. لقد حوّل الاستراتيجية إلى تنظيم يتمتع بالقدرة التي ستغدو ضرورية عند الحاجة... ماهان كان أيضاً مستشار الرئيس ثيودور روزفلت (1901 – 1908) عندما بدأت الولايات المتحدة الأميركية تفرض نفسها كقوة عالمية.

إن تطوير القوة يجب أن يتم في زمن السلم بفضل مناورة استراتيجية تعطي أولئك الذين



ألفرد ماهان (1840 - 1914). صاحب كتاب يتناول تأثير القوى البحرية عبر التاريخ. هذا الأميرال الأميركي وضع نظرية بشأن منظومة القوة الجديدة للولايات المتحدة، وكان يقدم الاستشارات للرئيس ثيودور روزفلت.

يحققونها المكانة الفضلى في حال وقوع الحرب. إنها مكانة متقدمة بشكل يمكنها من جعل الخصم يخضع دون أن يجرؤ على المخاطرة بخوض الحرب. تطبق الاستراتيجية إذا بهدف التصميم والتحضير لحدوث ذلك الوضع بالذات.

تستطيع الاستراتيجية توقع الصراعات التي ستنشأ في المستقبل. كما أنها تستطيع المشاركة في تأجيل تلك الصراعات أو التعجيل في حدوثها عن طريق تحضير المناخ الملائم لها. هذا ما يمكن أن يحصل، سواء في المستقبل القريب أو البعيد، بالنسبة إلى العلاقة ما بين الصين والولايات المتحدة (بسبب التنافس الاقتصادي والمناطقي)، هذا ما لم تعتبر واشنطن أن العلاقة مع الصين أمر جوهري للحفاظ على الأمن في آسيا، وذلك على حساب تدهور العلاقات التي تربطها باليابان.

اشتهر هذا الميل إلى التطوير المستمر للقوة خلال النصف الثاني من القرن العشرين بسبب الحرب الباردة. ولا شك في أن تلك الفترة شكلت مرحلة من الاحراب واللاسلم، إلا أنها أيضا، وبالتحديد، مرحلة نشأت خلالها ترسانات حربية هائلة، منها النووية ومنها التقليدية، وأدت إلى تأسيس «مركب صناعي-عسكري» حقيقي. هذه العبارة أطلقها الرئيس الأميركي أيزنهاور نفسه في نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، وذلك إشارة إلى منظومة التواطؤ الضخمة الموجودة في الولايات المتحدة ما بين الدوائر السياسية ودوائر الصناعات العسكرية.

في مطلع القرن الحادي والعشرين، أصبح مفهوم «الدفاع»، أي مجموع النشاطات العسكرية التي تتم في أوقات السلم، يشير إلى الإلغاء المتنامي للتمييز ما بين الحرب والسلم. وقد غدا هذا الأمر دائما وعالميا، وأصبح يشير إلى حالة من الاستعداد المستمر لمواجهة كل

الميزانيات العسكرية

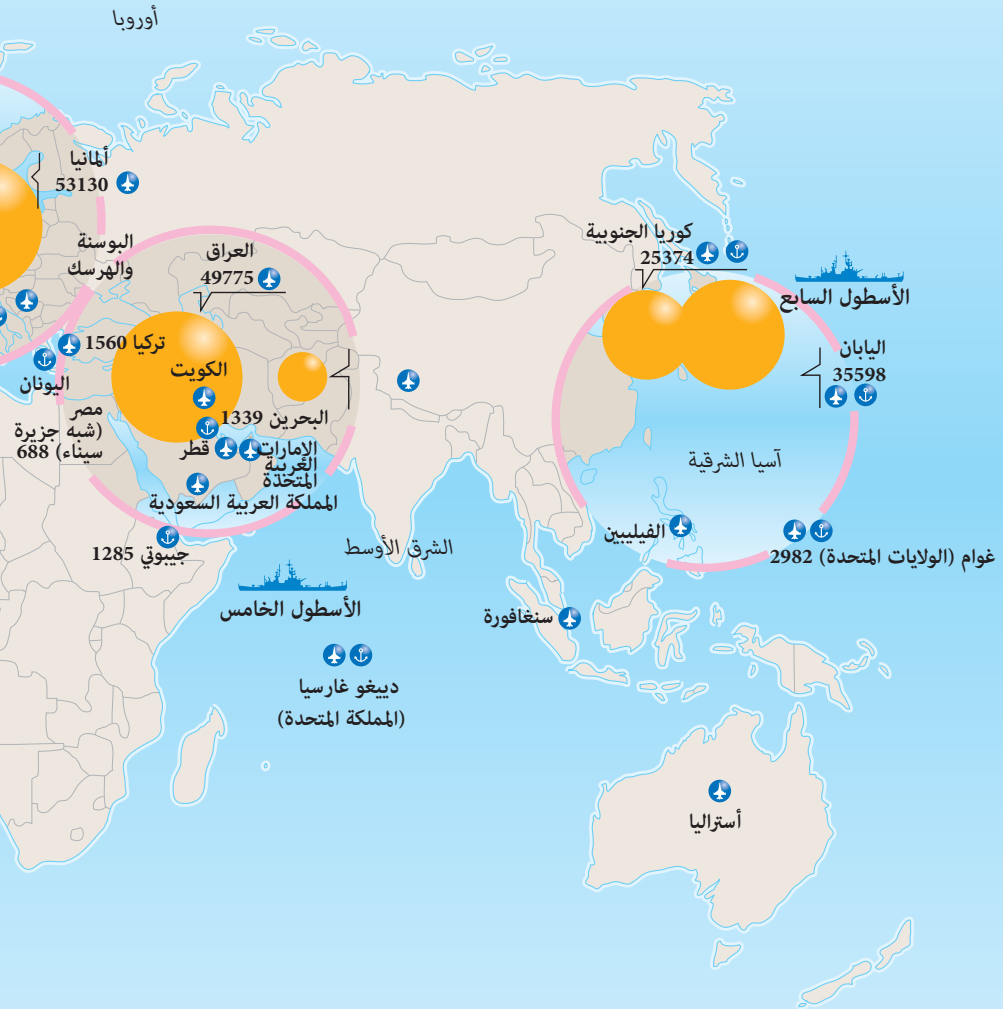
الدول التي كانت لديها أعلى الميزانيات العسكرية عام 2010 هي: الولايات المتحدة الأمريكية (722,1 مليار دولار)، الصين (76,4)، المملكة المتحدة (56,5)، اليابان (52,8)، المملكة العربية السعودية (45,2)، فرنسا (42,6)، روسيا (41,4)، ألمانيا (41,2)، الهند (38,4)، والبرازيل (34,7)، كوريا الجنوبية (25,4)، إيطاليا (20,5)، وإسرائيل (15,6).

خريطة (على الصفحتين التاليتين)

يبلغ عديد القوات الأميركية 1564000 رجل، ويتواجد 70% منهم تقريبا خارج حدود الوطن. انتشار كهذا يشير إلى سطوع نجم الولايات المتحدة على الساحة الدولية. رغم ميولها لتكون قوة أحادية، تسعى الولايات المتحدة إلى إيجاد حلفاء لها إضافة إلى الدعم الداخلي.



القوة الأميركية في العالم عام 2011



القواعد الأميركية الرئيسية المقامة في الخارج

القواعد الجوية

القواعد البحرية



الوجود العسكري الأمريكي (وفق عدد الجنود)





● ستة أسئلة يجدر بنا طرحها لكي نفهم منطق الحرب: من؟ لماذا؟ بأي حق؟ أين؟ كم من الوقت؟ بوساطة ماذا؟ بعد أن استندنا في هذه التساؤلات إلى الظروف التي تؤدي إلى قيام الحروب، سوف يقودنا البحث إلى الدوافع العميقة التالية: دوافع مادية (الأرض، ما تحت الأرض، الثروات) ودوافع أيديولوجية بالمعنى الواسع (قيم سياسية، دينية، دولية). وفي قلب هذه الانعكاسات، هنالك في النهاية تلك الدوافع المتعلقة بدور الإنسان في الحرب وفي مواجهتها. أية درجة من العنف يمكنه أن يحتمل؟ إلى أي حد يمكن تقنين هذا العنف والسيطرة عليه؟ أرادت الاستراتيجيات الحديثة، ولا سيما الأميركية منها، أن تدخل مفهوماً جديداً، هو مفهوم الحرب «من دون قتلى». ووفقاً لهؤلاء، فإن التطور العلمي والتكنولوجي في مجال التسلم في العصر الحالي يجب أن يسمح بالوصول إلى الحد الأدنى من الخسائر، بالنسبة لأولئك الذين يملكون هذا التطور على الأقل.

جنود فرنسيون في فردان. ذهب ضحية هذه المعركة نحو 700,000 رجل من الفرنسيين والألمان.

لماذا تنشب الحروب؟



ظروف نشوب الحرب

إن فهم الحرب يتطلب منا الذهاب إلى أبعد من مظاهرها، وعدم الانبهار بهريق المعارك، وعدم الإصابة بالعمى بسبب الخوف من التدمير المنظم. يكفي من أجل ذلك الإجابة عن ستة أسئلة: من؟ لماذا؟ بأي حق؟ أين؟ كم من الوقت؟ بوساطة ماذا؟

من الذي قام بالحرب؟

تشكل المبارزة الوحيدة الأساسية لكل مواجهة، فردية كانت أم جماعية. هناك إرادتان تقفان في مواجهة بعضهما بعضاً. تنتج الحرب من لقاء سيئ بين جماعتين يحمل كل منهما مشروعا غير قابل لأن يتم التوافق عليه. وكلاهما يحلم بحرب في ما بينهما، سواء كانت تلك الحرب عالمية، دولية (الحرب الكورية، 1951 - 1953)، إقليمية (الحرب بين إسرائيل والدول العربية 1948، 1967، 1973)، أم حرب محصورة بين بلدين (الحرب بين الهند وباكستان، 1947 - 1949، 1965 - 1971).

إلا أن الحروب قد تنشب أيضاً - وبالضراوة ذاتها - داخل المجتمع نفسه إذا ما انبثقت منه مجموعات معادية بعضها لبعض. يطلق على تلك الحروب تسمية «أهلية» (إسبانيا 1937 - 1939)، أو «إثنية» (البوسنة أو رواندا، تسعينيات القرن العشرين)، أو «حرب



جثث ملقاة على الطريق بالقرب من مخيم للاجئين في رواندا، عام 1994، أثناء عمليات التطهير العرقي. المأساة الرواندية، التي أسفرت عن 800,000 ضحية، تعد من أسوأ الحروب الأهلية التي حصلت في القرن العشرين.

تكاليف الحرب في العراق ومزاياها

منذ آذار/مارس عام 2003 وصلت كلفة التدخل في العراق إلى ذروتها في 2007 بـ 131 مليار دولار، لتتخفض في سنة 2010 إلى 66 ملياراً، وهو مبلغ متواضع إذا ما قورن بميزانية الدفاع الأميركية، التي تفوق السبعمئة مليار دولار في 2011.

تقوم الولايات المتحدة باستثمار طويل الأمد للمكاسب التي غنمتها (وقلما تقاسمتها مع جهات أخرى) من استغلال الموارد النفطية في العراق، ومن التحولات التي طرأت على أوضاع الشرق الأوسط، والتي سوف تخدم مصالحها. فالحسابات التي تجريها الولايات المتحدة لا تبدو سيئة على الإطلاق من الناحية النظرية.



إميليانو زاباتا (1877 - 1919). هذا الثائر المكسيكي أثار فلاحى الجنوب في عام 1911، وحاول فرض إصلاح زراعي واسع قبل اغتياله. وبات أحد أبرز رموز الثورة الزراعية.

طبقيّة» (المكسيك، 1911 - 1917) أو «دينية» (فرنسا، خلال القرن السابع عشر). «المواطنون» الذين يتعايشون مع بعضهم بعضاً منذ القدم يخرقون معاهدة الوحدة باستخدام متغيرات مادية وروحية في الوقت عينه، هادفين بذلك إلى خلق توازن جديد في المجتمع، وإعادة توزيع للسلطات والثروات عن طريق استخدام العنف.

منغيرات عميقة وأهداف معلنة. لماذا؟

يمكننا القول بصورة مجردة أحياناً، بأن هدف الحرب بالنسبة إلى من يقوم بها «أن يتموضع في موقع أفضل من ذلك الذي كان عليه في السابق».

إن اللجوء إلى هذه الوسيلة يرتكز إذا على أمل الانتصار. فما هي طبيعة هذا الانتصار؟ في العصور الوسطى، استحققت «الغزوات البربرية» التي قام بها النورمانديون، والهنغاريون، والمغاربة ما وصفت به من بساطة. حيث أقدمت مجموعات من الغرباء على نهب مناطق عرفت بازدهارها. وما إن حصل هؤلاء على الغنائم حتى عادوا إلى ديارهم. ولربما كانت هذه الثروات أو الغنائم بشرية أيضاً: كان هدف «الغزوة»، أو «الغارة» في بعض الأحيان

الحصول على أيد عاملة إضافية للخدمة. أما الاجتياح الذي يهدف إلى الاستيلاء على الأرض والاحتفاظ بها لفترة طويلة بل دائمة، من مستعمر يطرد المواطنين الأصليين أو يستعبدهم، فيطرح مشكلة أكثر خطورة. هذا هو المنطق الاستعماري الذي استخدمته النازية إزاء مناطق شرق أوروبا. وهو نظرة قديمة، مهملة، مبنية على النظر إلى الشعوب من منظار عرقي. إلا أن فكرة الزحف نحو الشرق (Drang Nach Osten) ظلت تتمتع بهالة كبيرة، طبعت بها جيلين على الأقل من الجيوسياسيين (هوشوفر، وراتزل).

تبدو الحرب أشبه باستثمار مرهق مقابل الحصول على منفعة دائمة. هذا هو المنطق الذي استندت عليه الحروب التي أدت إلى احتلال المستعمرات لآماد طويلة... والتي سمحت الظروف التاريخية باستمرارها: كاحتلال المكسيك الجديدة إلى أجل غير مسمى، واستمرار التمييز العنصري - الذي تلاشى اليوم - في جنوب أفريقيا.



توقيع إحدى معاهدات وستفاليا، في الخامس عشر من أيار/مايو من العام 1648، في مانستر، ما بين المبشرين الهولنديين والإسبان. معاهدات ويستفاليا التي وضعت نهاية لحرب الثلاثين عاماً، هي التي عرفت المفهوم الحديث للسلم على أنه التوازن بين القوى (لوحة لـ ج. تير بورش (G. Ter Borsch).

بأي حق؟

الدخول في الحرب كان في ما مضى يترافق مع طقوس رمزية للإعلان عنها، وهي طقوس دينية ودبلوماسية. ومن الملاحظ أن هذه الأمور تميل إلى الاختفاء، بسبب عدم تمتع الحرب بالشعبية. وذلك يؤدي إلى تمويه العدوانية تحت ادعاءات أخرى، أو إلى دخول الحرب من دون استشارة ممثلي الشعب. إن ميثاق الأمم المتحدة الذي وضع عام 1948 يدين العدوان الحربي، ويرسي مبدأ حق الدفاع المشروع عن الذات من قبل المعتدى عليه ضد المعتدي، وفق القانون الدولي.

المنطق «الوستفالي»

تأسيساً على مقولة «ديانة الحاكم هي ديانة المملكة»، وضعت هذه المعاهدات حداً لحرب الثلاثين عاماً الأوروبية (1618-1648)، على أساس أن يخضع كل فرد في الدولة لديانة الحاكم. فالسيادة على الأرض فاقت الدين أهمية، إذ إن الأخير لا يمكنه التقدم على القيم التي تتجاوز الحكومة. قام المنطق «الوستفالي» على التوازن بين القوى القومية الكبرى.

أما مفهوما السيادة الوطنية وعدم المساس بالحدود فقد خضعا لإعادة نظر لم يسبق لها مثيل منذ توقيع معاهدات وستفاليا (1648). بعد التدخل الذي حصل في هنغاريا عام 1956، أساءت البروليتارية الدولية التي تمت مراجعتها وتصحيحها في عهد بريجنيف، إلى مبدأ السيادة الوطنية في تشيكوسلوفاكيا (1968) وفي أفغانستان (1980)، بالرغم من إدانتها بشدة من الأمم المتحدة والدول الغربية. لكن الاتحاد السوفياتي كان متسلحاً بنظام يشرع اللجوء إلى القوة، بما يتفق مع سيطرته على كتلة الدول الشيوعية، التي أرادها أن تشكل نسيجاً متجانساً وخاضعاً لمصالحه العليا. فكان اتصال بسيط بـ «الأخ الأكبر» (السوفياتي) يكفي لتبرير اللجوء إلى معونة الفرق المدرعة في حلف وارسو.

منذ نهاية الحرب الباردة، تعرضت مبادئ السيادة من جديد إلى الإساءة بصورة فردية. فقد انطلقت فكرة «حق التدخل» لدوافع إنسانية، ضد الطغاة الذين يضطهدون شعوبهم. وقد بررت هذه الفكرة ما قام به حلف الناتو في كوسوفو، ومونتينيغرو وصربيا في آذار/مارس من عام 1999، من دون موافقة مجلس الأمن في الأمم المتحدة.

في عام 2003 نجح مفهوم حق التدخل هذا جزئياً، في تأمين الموافقة على غزو قوات الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها للعراق، الذي يحكمه صدام حسين، متجاوزاً مجلس

الأمن الدولي. إلا أن مسألة تحرير الشعب العراقي لم تكن سوى حجة لتمويه السبب الأساسي وهو تهديد أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها نظام بغداد، والتي تبين في ما بعد أنها لم تكن موجودة.

إلى جانب المفاهيم الكلاسيكية للعدوان الحربي أو للحرب الدفاعية، ومنذ بضع سنوات، بدأت تستخدم غالباً عبارة الحرب الوقائية. وتقوم الحرب الوقائية أو الحرب الاستباقية على أساس الوقاية من «الكوارث الإنسانية»، ويكون هذا هو هدفها.



دخول الدبابات التابعة لحلف وارسو إلى براغ، في الثالث والعشرين من تموز/يوليو من العام 1968. هذه العملية التي قادها الاتحاد السوفياتي وضعت حداً لتجربة «ربيع براغ» ومكنت نظام بريجنيف من إحكام السيطرة على المعسكر الشيوعي تحت قيادة موسكو.

(كوسوفو). الحرب الاستباقية تعني ببساطة أن من يشنها هو من يطلق الطلقة الأولى، في نزاع جار مسبقاً بين طرفين. وبعد ذلك يأخذ الطرفان بالتحرك. ويسمى استباقياً كل فعل يسبق بالزمن (يوم، أسبوع، شهر) الضربة التي كان العدو يستعد لتوجيهها.

أين؟ الأماكن ذات الامتياز

ما من أرض أو مقاطعة لم تشهد وقوع حرب. فالحروب قد طالت كوكينا بأكملها، صحاريه وأدغاله، مدنه وقراه. لقد عبرت الجبال العالية وقطعت المحيطات الواسعة، إلا أن هناك أماكن تبدو أكثر عرضة لنشوب الحروب: الحدود، النقاط الحساسة، مناطق العبور، الأراضي التي تضم مناجم للمواد الثمينة أو النادرة.



كفر نشر قوات التدخل في كوسوفو (KFOR) عام 1999. هذه القوة التي انبثقت من حلف الناتو (قوة عسكرية قوامها الأساسي القوات الألمانية، الأمريكية، البريطانية، الفرنسية والإيطالية)، ووضعت تحت إمرة الأمم المتحدة (وفق القرار 1244)، كانت مهمتها الفصل ما بين العناصر المسلحة الصربية والألبانية في المقاطعة.

الأماكن التي تميزت بوقوع معارك فيها خلال القرن العشرين

الحدود الفرنسية - الألمانية
(فردان).

شكل البحر الأسود (القرم، الدردنيل
البر والبحر) وما زال المنطقة الأكثر
وقوعاً تحت المراقبة في حرب
أعماق البحار.

أفغانستان: شكلت نقطة عبور من
منطقة الشرق الأوسط إلى الهند منذ
عهد الإسكندر الكبير حتى الحروب
السوفيياتية الأميركية.

فيتنام: تعرض هذا البلد للغزو
الفرنسي في نهاية القرن التاسع
عشر، كما شهد حربين (إحدهما مع
فرنسا، والثانية مع الولايات المتحدة
الأميركية)، ثم حرباً أخرى محدودة
مع الصين (1979)، هذا من دون أن
تحتسب المناوشات مع لاغوس وتلك
التي حصلت في كمبوديا.



كفر عسكريون فرنسيون في خندق على جبهة فردان عام 1916. هذه المعركة التي راح ضحيتها 700,000 ألماني وفرنسي لم يكن لها أي تأثير يذكر في التوازن ما بين القوتين المتحاربتين.

كم من الوقت؟

بعض الحروب الطويلة الأمد خلال القرن العشرين

تعتبر الحرب طويلة الأمد عندما تتجاوز فترة المواجهات جيلا كاملا. الصين: منذ العام 1919 (بداية الحرب الأهلية، تلاها الاجتياح الياباني عام 1937) حتى تأسيس جمهورية الصين الشعبية، في تشرين الأول/أكتوبر من العام 1949.

الحروب الهندية - الصينية (1946 - 1975).

المواجهات الإسرائيلية - الفلسطينية (1948 - 20..).

المواجهات الإنجليزية - الإيرلندية: 1916 - 2004

المواجهات الفرنسية - الألمانية منذ 1870 حتى 1955، أي استمرت لفترة خمسة وثمانين عاما، ولم تنته إلا بعد إبرام اتفاقات بشأن القضايا الخلافية بينهما حول إقليم السار، والتي انتهت بدعاوى دولية بشأن الحدود بينهما. مما لا شك فيه أن فترات من الهدوء مرت، لكنه كان هدوءا ما بين حربيين، حيث كان كل فريق يتحضر من أجل الانتقام من الآخر.

حرب المئة عام (1337 - 1453)، حرب الثلاثين عاما (1618 - 1648)، حرب السبعة أعوام (1756 - 1763)... هي نماذج من الحروب التاريخية، التي نتجت عنها تقسيمات قسرية. في الحقيقة، لا تشهد الحروب الطويلة الأمد سوى حملات عسكرية نادرة ومعارك أكثر ندرة، لكن أهميتها تكمن في استمرار المواجهات بين المتخاصمين. لهذا السبب كانت الحروب المشهورة عبر التاريخ فضلية: تجهز الجيوش أماكن يستقر فيها جنودها خلال فصل الشتاء، ثم تستأنف العدوان من جديد مع قدوم فصل الربيع. تتطور الحرب التقليدية عن طريق القيام بسلسلة عمليات تشكل «الحملة العسكرية»، وهذه الأخيرة تتميز بالتنظيم، بحيث تتألف من معارك وحصارات تكون قد تقرر من قبل بدرجات متفاوتة من الدقة والحسم. هذا البحث عن الحسم يجعل قرار الدخول في معركة مخاطرة بحد ذاته.

في المواجهات السياسية الطويلة الأمد (المواجهة ما بين فرنسا وإنكلترا منذ العام 1793 حتى العام 1815، وما بين فرنسا وبروسيا ثم الإمبراطوريات الألمانية ما بين عامي 1870 و1945)، لا تمثل

الحرب، بمعناها الحرفي، سوى مرحلة العنف المفتوح، والتي يبحث الطرفان، أو أحدهما، من خلالها عن طريقة للخروج من المأزق السياسي. بهذا المعنى، وكما كتب كلاوزفيتز (Clausewitz) (1780-1831)، «الحرب ليست سوى استمرار للسياسة، لكن بوسائل أخرى».



مشهد من إحدى المعارك على الجبهة العراقية - الإيرانية عام 1980. هذه الحرب التي راح ضحيتها أكثر من مليون شخص بالإجمال ما بين عامي 1980 و1988، تميزت بكونها مزيجا قاتلا من التقنيات الحربية الحديثة والنمط القتالي القديم، الذي يضحى بأعداد متتابة هائلة من المحاربين.



قرب تمثّل شبكة التنصت الإلكترونية Echelon (بريطانيا العظمى). إن الحصول على المعلومات يشكل مكوناً أساسياً من مكونات الحروب الحديثة.

بأية وسائل؟

الحرب المفتوحة ما هي إلا عملية انطلاق للعمليات العسكرية. لكن تسبقها تحضيرات للمصادر البشرية والمادية (تسليح، تنظيم للتعبئة العسكرية والاحتياطيين، تأمين الخدمات العسكرية، إجراء تدريبات) وتخطيط للعمليات. أما تقسيم الحرب إلى عدة مراحل فيعتمد على عامل آخر هو التطور التقني. تماماً كما كان الأمر في العصور ما قبل التاريخية (العصر البرونزي، العصر الحديدي...)، التي كانت مرتبطة بشكل قوي بالحروب، فقد تحولت هذه الأخيرة وفقاً للوسائل الحديثة التي وضعت تحت تصرفها بفضل الحرفيين في البداية ثم بفضل الصناعة. البارود، المدفعية، الأسلحة النووية، الهااتف، الرادار، المعلوماتية الإلكترونية كلها وسائل تخلق في كل مرة «ثورات في المجالات العسكرية» (انظر الفصل الثالث).

إلا أن هذه التغيرات نادراً ما كانت تختص بالحروب فقط. ففي معظم الأحيان، يزود التطور في القطاع المدني القطاع العسكري بالخبرة اللازمة لتحسين نظام التسليح. إن مفهوم نظام التسليح شديد الأهمية بحد ذاته، لأنه يعتمد على تركيبة معقدة من الخبرات المختلفة: الصواريخ المتطورة هي خير مثال على ذلك. إن الأمر لا يتعلق فقط بإطلاق صاروخ باتجاه الهدف، بل بتنظيم وسائل التوجيه، عن طريق ربطها بالمعطيات المكانية التي تزودنا بها الأقمار الصناعية الاستطلاعية، وباستخدام شبكة المعلومات التي تزودنا بها الرادارات، وتلك التي تزودنا بها اليوم طائرات الاستطلاع (طائرات من دون طيار).

أمثلة عن الوسائل

العسكرية التي استخدمت

في العراق من الإيرانيين والعراقيين خلال الثمانينيات من القرن العشرين: أسلحة كيميائية، صواريخ بالستية، قصف جوي بالقنابل للمنشآت النفطية وناقلات النفط، استخدام أعداد هائلة من المجاهدين المستعدين للاستشهاد من إيران: وهو مزيج غريب من الحدائنة والنمط القتالي القديم.

في الكونغو - زائير، منذ نهاية التسعينيات من القرن العشرين: ظهور الأسلحة التقليدية الثقيلة، سلاح الطيران ووسائل القيادة والاتصالات الحديثة في حروب تعتبر حتى اليوم غير معقدة. استقدام جنود محترفين من كافة أنحاء المعمورة، مجندين من مجتمعات شديدة التنظيم، ومجهزين بأسلحة قوية من تجار أسلحة يبحثون عن زبائن، يجعل من ضبط هذه المواجهات عن طريق اللجوء إلى قوات تقليدية لحفظ السلام أمراً مستحيلاً.

في العراق من القوات الأميركية عام 2003: صواريخ كروز بكميات هائلة، استخدام كثيف للأقمار الصناعية، تسارع في زمن انتقال القوات المحاربة، تحديد سريع لمواقع العدو عبر تتبع اتصالاته وتحركاته. وكما حصل في أفغانستان قبل عام من ذلك: تحديد الأهداف باستخدام اللايزر واستخدام طائرات من دون طيار اعتمد على الرجال الآليين لتنفيذ جزء من الحرب.

دوافع الحروب

قد تنشأ الحروب لأسباب مادية أو لأسباب أيديولوجية، وغالبا ما تنشأ من أجل هذه الأسباب مجتمعة، بحيث يقوي بعضها البعض الآخر أو يشكل قناعا له.

إن أي مجال مزدهر من دون حماية أو دفاعات كافية سوف يتحول إلى فريسة لأحدهم. الأمر مشابه لذلك الجدل العقيم حول أيهما سابق الآخر، الدجاجة أم البيضة؟ هل الصائد هو من أوجد الطريدة، أم الطريدة جعلت منه صيادا؟ إذا ما نظرنا أبعد مما هو ظاهري، أي الفعل العدواني الأول، الذي يحدد من هو المعتدي ومن هو المعتدى عليه، من المهم أن نتساءل حول دوافع كل منهما واستراتيجياته. عام 1941 وجهت اليابان ضربة للولايات المتحدة الأمريكية، لكن لنكن موضوعيين، فقد كان مخزون البترول في الأرخبيل الياباني مهدداً من واشنطن، التي كانت تعارض النزعة التوسعية لدى طوكيو، بعد تحريرها عام 1937. وفي 1990 اجتاحت العراق دولة الكويت، إلا أن هذه الأخيرة كانت قد رفضت منذ عدة أشهر تقسيم الديون العراقية، التي تراكمت بسبب الإنفاق المتتالي على الحرب ضد إيران (1980 -

الحق في مياه البحر

يخضع هذا الأمر لأحكام اتفاقية مونتيجو باي، التي ائتمنت من مؤتمر للأمم المتحدة، بعد أن استمر النقاش بشأنه منذ 1973 حتى 1982. ولطالما شكلت مسألة تحديد المياه الإقليمية سببا للمواجهات. ومنذ عام 1973 أصبح هناك تحديد يعطي للدولة مسافة اثني عشر ميلا بحريا بدءا من حدود شاطئها. بعد ذلك، وفي العام 1976، أدخل مفهوم «المنطقة الاقتصادية الحصرية» (ZEE) الذي يعطي للدولة حق ملكية مئتي ميل بحري تبدأ من «خطوط القاعدة»، أي من كل ملكية وطنية على امتداد المحيطات. مع العلم أن أي جزيرة ناتئة مهما صغر حجمها يمكن أن تعتبر قاعدة لمنطقة اقتصادية حصرية بالغة الاتساع. إن تفسير هذه التحديات والانتهاكات «البريئة» أو المتعمدة تفسح المجال لحصول مواجهات غير مألوفة ودراماتيكية، تؤدي أحيانا إلى تسميم العلاقات بين بعض الدول: الصين، اليابان، إندونيسيا، تشيلي، الأرجنتين...

1988)، تلك الحرب التي اعتبرت قضية «عربية» ضد العدو الفارسي، وكذلك بسبب الإفراط في الإنفاق على البرامج العسكرية، ولاسيما تلك النووية. أما ذلك القرار الجريء للكويت، وهي دولة صغيرة، فكان يعتمد على وجود الدعم السعودي، وبالتالي الأميركي. وهكذا، فإن تسليح الأسباب الأولية والثانوية يبدو من دون نهاية. وفقا لهذه الأسباب، تنقسم الحروب إلى فئتين:

المفروضة (الضرورية): تعرضنا للعدوان، المصالح الحيوية مهددة. يجب التصدي للأمر، والقيام بهجوم مضاد. الاختيارية: قررنا التدخل في بعض أجزاء أوروبا أو في العالم (البعد الجغرافي والتباعد الثقافي عاملان أساسيان).

الأسباب المادية

تندرج الأسباب المادية ضمن فئتين من المصالح: من جهة، هناك الحيز المكاني حيث يتواجد الناس ويتحركون، والأرض التي تزرع، والثروات التي يخترنها باطن الأرض؛ ومن جهة أخرى هناك الثروات المنقولة منها وغير المنقولة، التي تنتجها الصناعات البشرية، والتي تثير الشهوة لدى الآخرين وتدفعهم إلى محاولات اقتناصها، سواء عن طريق غزو البلاد أو عن طريق نهب ثرواتها.

الأرض وما تحتها

في الماضي كانت الأرض، حاوية الثروات، تمثل كل شيء. إلا أن الدول البالغة التطور تخلت اليوم عن هذا المنطق. فيما استمر في الجزء الأكثر اتساعاً من العالم، والأكثر كثافة سكانية. بصورة عامة، يشكل اللجوء إلى العنف المسلح أسلوباً لحل المواجهات التي تنشأ، في كل الأماكن التي يخلق الضغط الديموغرافي فيها حالة من القحط، نسبية كانت أم مطلقة، موضوعية أم ذاتية. إن الدفاع عن الأرض يثير نوعين من الصراعات: الصراعات الأهلية والصراعات الدولية. في الأولى تتواجه فئتان اجتماعيتان، أسلوبان من أساليب العيش، مجموعتان من العمال. مثال على ذلك، مربو الماشية والمزارعون من الصعب أن يتعايشوا معاً (البال والولوف في السنغال)، وكذلك البدو الرحل والسكان المستقرون (السودانيون في دارفور). في ضوء هذا التنازع على ملكية الأرض، يمكننا أن نفرس عدداً لا يحصى من الانشقاقات في الشرق الأدنى، وآسيا وأفريقيا. ويبقى الضغط الديموغرافي قوياً على مساحة صغيرة من الأراضي في بنغلاديش. أما في الصين حيث الانفجار السكاني الكبير، وحيث تستعاد الملكية الفردية تدريجياً، تطرح مسألة بالغة الخطورة تتعلق بإعادة توزيع الرأسمال العقاري، والتي ستحد مستقبل ثماني مائة مليون من سكان الأرياف. على الصعيد الدولي، يتخذ الصراع على الأرض منحى سياسياً عندما يتمثل بمطالبة إحدى الدول بأراضٍ، ويكون مبرراً هذه المطالبة وصول هذه الدولة إلى حدودها الطبيعية، أو مجالها الحيوي أو إلى منطقة عازلة. غالباً ما يكون سبب الصراع على الأرض تقدير قيمة ما في باطن الأرض، لا سيما عندما تكون الكميات الحقيقية للمخزون الطبيعي للمنطقة غير معروف. يمكن التفاوض بشأن ما تم التنقيب عنه وما تم تسجيله، أما ما يقع في خانة الاحتمالات فيبقى موضوع مواجهة بين الفرقاء. اليوم، كل منطقة تعتبر مصدراً محتملاً للموارد، إن لم يكن لشيء إلا للسياحة. وهكذا بدأ الفيتناميون، وبالرغم من معارضة الصينيين والفيليبينيين، استغلال جزر سبراتلي المشهورة بكونها مصدراً هاماً لصيد الأسماك، والنفط، والغاز الطبيعي، وبحثائها على معادن عديدة. إن الحصار الأنغولي لكابيندا للحفاظ على الثروة النفطية يقابله انسحاب من جانب الكونغو، فيما تبقى أنظار الشركات المهتمة مسلطة على الإقليم. إلى هذه الصراعات التقليدية التي تجري على الأرض أضيفت مؤخراً الاحتكاكات الناتجة



مسيرة للفلاحين البرازيليين
نظمتها عام 2001 حركة العمال
الريفيين الذين لا يملكون أراضي
(MST). تهدف هذه الحركة إلى
الحصول من الرئيس لولا دا سيلفا
على إصلاحات زراعية واسعة
النطاق بالطرق السلمية.



تشكل مياه بحيرة طبريا قضية سياسية، تساهم بحيرة طبريا التي استولت عليها إسرائيل عام 1967، بشكل كبير في ري منطقة النقب.

جغرافيا الجوع، جغرافيا العنف

يتكرر سيناريو الصراع على الأرض نفسه في العالم أجمع، عندما تضيق مساحة الأرض وتتزايد أعداد البشر بشكل كبير. يستغل البشر الأراضي غير الخصبة (الأراضي السيئة) التي تكاد تكون عقيمة لا تنتج أي محصول. يصعب تحقيق التوازن الطبيعي في الكثير من البلدان في المنطقة المدارية، حيث تصاب الأراضي بالجفاف. كما أن إتلاف النباتات البرية في الهندوراس وغواتيمالا كان السبب في حالات التمرد التي جوبهت بالقمع الوحشي، ذلك أن الأراضي الأكثر خصوبة انتزعت من كبار الإقطاعيين، الذين تمكنوا من الاحتفاظ بها بفضل التضامن الذي توفره لهم شبكة العلاقات الطبقة التي تسود المجتمع. عندما يصبح الضغط قويا، تصبح الميليشيات المكونة من المرتزقة الأداة العادية التي يتم اللجوء إليها لإعادة الأمور إلى نصابها بقسوة وصلابة، تماما كما حدث في شمال شرقي البرازيل خلال السنوات 1960 - 1980، وكما يحدث اليوم في أسام (بنغلادش)، حيث تقع المواجهات ما بين الميليشيات التابعة لكبار الملاكين وبين المزارعين الماويين.

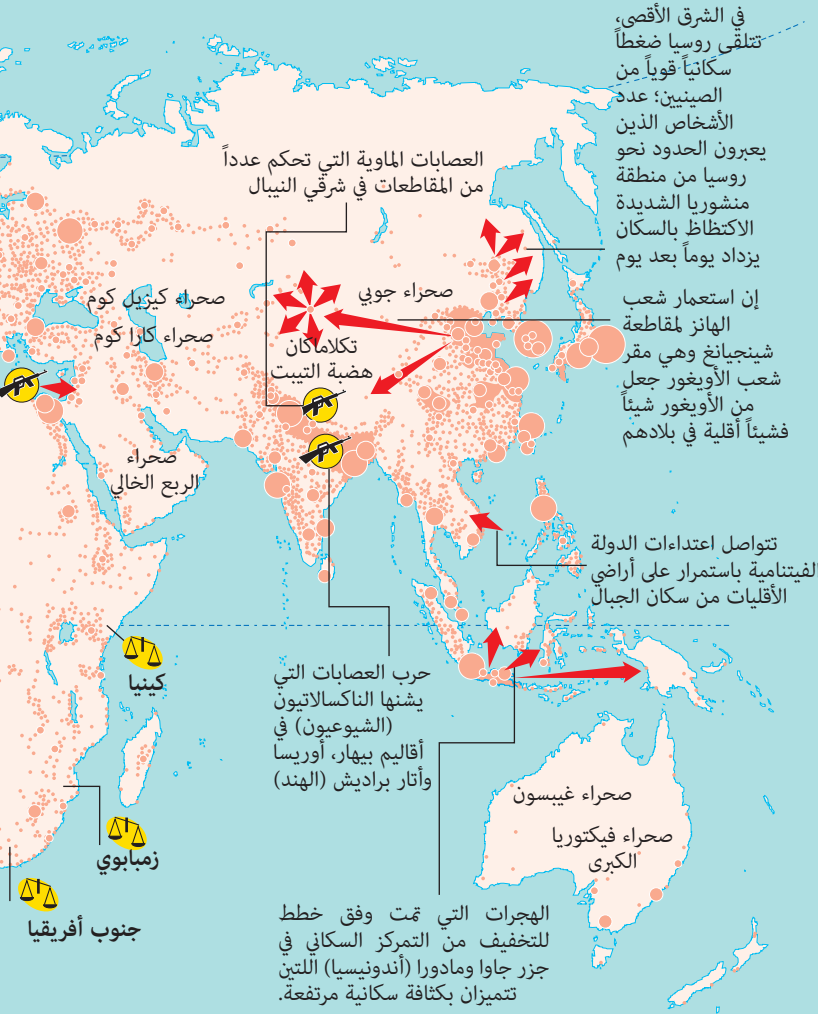
من مسألة الاستغلال العادل مع البيئة. بات علينا إذا مواجهة حروب بيئية تهدف إلى الحصول على موارد طبيعية، كالمياه، والهواء النقي، وإما التصدي للأنشطة التي تسبب تلوث الجو (انبعاثات ثاني أكسيد الكربون، المياه المبتدلة التي تصل إلى مجاري الأنهار). إذا ما اتضح أن عملية هطول الأمطار في بلد ما تتأثر سلباً بانبعاثات ثاني أكسيد الكربون من بلد آخر، فلا شك في أننا سنواجه حربا عظمى.

في الإطار نفسه أيضا نجد أن السيطرة على المياه في الأردن، تمثل قضية خطيرة بالنسبة إلى النزاع ما بين الإسرائيليين والفلسطينيين والأردنيين. وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى مصادر المياه في نهر الفرات، والتي تحاول تركيا السيطرة عليها عن طريق إقامة مجموعة ضخمة من السدود، التي تسمح لها بوضع اليد على كل الأجزاء التي تضم منابع المياه في بلاد ما بين النهرين.

خريطة (على الصفحتين التاليتين)

الصراع على الأرض يسبب نوعين من المواجهات: الحروب الأهلية والحروب الدولية. على كوكب يزيد عدد سكانه على سبعة مليارات نسمة، سوف تبقى الصراعات على الأرض مثار قلق خطير.

الأراضي المتنازع عليها



أثاكاما: اسم صحراء سلسلة جبال الأنديز: اسم يطلق على سلسلة جبلية

الكثافة السكانية:

كل نقطة تمثل خمسمئة ألف نسمة

تجمع سكاني: عدد السكان (بالملايين)

- من 1 إلى 2,4
- من 2,5 إلى 4,4
- من 4,5 إلى 7,9
- من 8 إلى 14
- أكثر من 14



استعمار مناطق الأمازون من المزارعين الذين لا يملكون الأراضي، والقادمين من شمال شرق البلاد، والمزارعين الأكثر رخاء الذين جذبتهم الإعانات المالية التي تقدمها الحكومة.

⚖️ مناطق تتميز بتوزيع غير منصف للأراضي

⚡ مناطق تحدث فيها ثورات مسلحة للمزارعين

➡️ ظواهر استعمار

الاقتصاد

«نحن هنا أشبه بحاربين داخل خيمة،

وهم يبغون غزو السماء بالقوة».

القديس برنارد دو كليرفو
(1090 – 1153)

في عصر انتصار المركنتيلية (مذهب اقتصادي عرف في القرن السابع عشر يهدف إلى إثراء الدول من طريق التجارة الخارجية)، كان هدف حروب «احتكار السلع»

منع المنافسين من استغلال السلعة (كاحتكار الفراء في أميركا، على سبيل المثال). هذه الحروب شبه الخاصة التي قادتها «الشركات» (الشركات الهندية، الفرنسية والبريطانية)، كانت مدعومة بشكل غير مباشر من الدول، إلى أن قررت الحكومات أن تتدخل علانية. من هذا المنطلق كانت الحروب التي سميت «حروب الموانئ» أو حروب الأفيون التي كانت تدعمها إنكلترا منذ بداية القرن الثامن عشر، والتي حولتها لندن إلى حروب حقيقية ما بين 1839 و 1842 لكي تفرض على الصين تسويق الأفيون. أما بعد ذلك، فلم تتوقف الشركات الحديثة عن تطوير هذه النشاطات مستخدمة «الذكاء الاقتصادي»، وهو خليط من البحث عن المعلومات، والتكتم على البراعة في التصنيع والتنافس غير الشرعي للفوز بالأسواق والسباق إلى تلقي الطلبات.

الدوافع النفس – أيديولوجية

الأيديولوجيات

تشكل الأيديولوجيات السياسية والدينية منظومات من المعتقدات المنتظمة يرتبط بها الأفراد بصورة بديهية وبحرية تامة. تنتقل هذه المفاهيم عبر كل أشكال التعليم والثقافة. إن ممارسة سياسة القهر قد

من الأيديولوجيا القومية الناصرية إلى الأيديولوجيا الإسلامية

خلال خمسينيات القرن العشرين، تحرر الشعوب المستعمرة حمل معه الروح القومية، المتمسكة بالهوية، والتي تتميز بالعلمانية الصرفة. هذا الشعور القومي تضارب مع الشيوعية التي كانت في أوج زخمها. وقد ظهر ذلك في العالم العربي على شكل قدرة على التطور مقابل التقاليد الإسلامية، التي لم تعرف ذلك الشعور القومي الذي يجعل الأمة بحد ذاتها وحدة متكاملة. سرعان ما دخلت هاتان الأيديولوجيتان في صراع: كما حصل في مصر حيث خاضت منظمات مثل حركة الإخوان المسلمين، التي تأسست عام 1929، منافسة مع السلطة القائمة المرتكزة على الأسس القومية، والتي غدت أكثر تسلطاً مع مرور الوقت. كما أن الانشقاقات، والمنافسات المتسمة بالعنف، والهزائم العسكرية المتتالية في مواجهة إسرائيل، والتصدي لتركيا وإيران، كلها عوامل ساهمت في الهزيمة التاريخية للقومية العربية. وهكذا تصاعدت المشاعر الدينية من الأعماق، وتمكن الدين من تصدر المشهد، لي طرح نفسه على أنه الاستجابة الوحيدة لتطلعات العالم الإسلامي الممزق الذي يعيش حالة من الترقب كما رأينا ذلك بعيد «الربيع العربي» في 2010 و 2011.



«صالحة المعلوماتية في سلسلة قنوات فوكس نيوز في نيويورك. هذا التلفزيون الذي يملكه روبرت موردوخ من حزب المحافظين قدم دعماً موجهاً لامتنهاياً للسياسة التي انتهجها بوش في العراق.



المقر المركزي لشبكة قنوات الجزيرة. هذه الشبكة التي أسسها أمير قطر الجديد في النصف الثاني من تسعينيات القرن العشرين، للبت المستمر للأخبار على نمط سي. أن. أن. (CNN)، فرضت نفسها على الساحة العربية كإحدى وسائل الإعلام المرئي - المسموع النادرة، التي تتمتع بالاستقلالية والموضوعية.

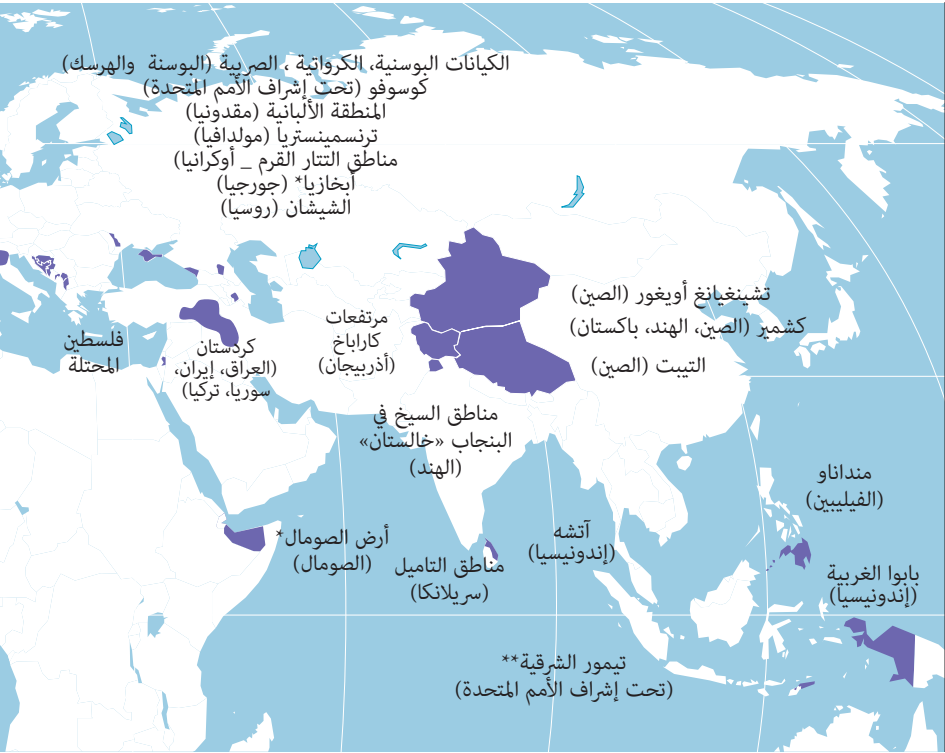
دور وسائل الإعلام

في إطار العمليات النفسية التي تهدف إلى تهيئة الرأي العام للحرب، تستخدم الحكومات وسائل الإعلام. إذا، فإنغراء التأثير على عقول الآخرين يبدو قويا، ويمكن هذا التأثير أن يصل إلى حد تسميم هذه العقول. في 1999، أخذ مصير الشعوب في كوسوفو منحى دراماتيكيًا، بهدف تبرير التدخل العسكري لحف شمال الأطلسي ضد نظام سلوبودان ميلوسوفيتش. أما الأمر الأكثر خطورة أيضا فيتمثل في تسميم العقول المنهجي الذي مارسته الحكومتان الأميركية والبريطانية (بصورة خاصة عبر الإمبراطورية الإعلامية التي يملكها روبرت مورديوخ) لدى ادعائهما امتلاك العراق أسلحة دمار شامل، من أجل تبرير الحرب العدوانية على هذا البلد، تحت أنظار القانون الدولي. ومن المؤكد أن الدكتاتورين (ميلوسوفيتش وصادام حسين) لم يتمكنوا من كسب التعاطف، فيما اختارت وسائل الإعلام تصديق تلك الادعاءات...

تؤدي إلى انضمام الأفراد إلى هذه المنظومات، إلا أننا نعتقد أن هذه الحالة هشة نسبيا ومبالغ فيها. ترتبط قيمة الدافع النفسي بمدى قدرته على خلق حالة من التضامن على أساس القناعات. هناك نوعان من الأخطار الأيديولوجية: أحدها الانقسامات الطائفية التي تتسم بالعنف، والثاني الأيديولوجيات التي تظهر منذ البداية محصورة بجماعة ما، مميزة عن سواها، غير متسامحة وعدائية.

لطالما شكل الإيمان الديني قوة دافعة للحروب، والحروب الصليبية خير شاهد على ذلك. كما الصراع ما بين الكاثوليك والبروتستانت الذي مرق أوروبا قرابة القرنين.

أما في عصرنا الحاضر، فقد دعا أسامة بن لادن إلى الحرب المقدسة (الجهاد) ضد «الصليبيين» الغربيين الذين، بحسب رأيه، يحتلون أراضي المسلمين.

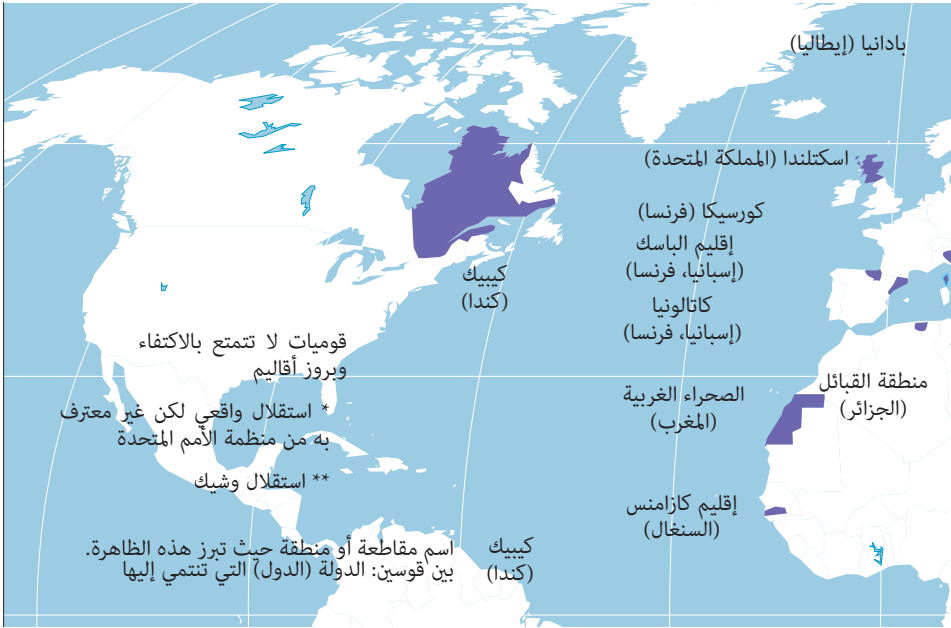


الانتماء القومي، فهذا الأمر لا يندرج على الدوام تحت قائمة العدوان والعنف. على الرغم من ذلك، هناك الكثير من الغموض والتدرجات في ما يتعلق بالتأكيد على الانتماء القومي، فهذا الأمر لا يندرج على الدوام تحت قائمة العدوان والعنف.

يشكل التمييز العنصري الشكل الأكثر تطرفاً للدوافع العدوانية النفسية، وكما تشهد على ذلك بقايا النازية في أوروبا، فإن بعض الفرق الأميركية (السياديون البيض، الجامعة الآرية، الفاينيس)، إضافة إلى العديد من المنظمات الإسلامية الصغيرة التي تستخدم عبارات بالغة العنف للتعبير عن كراهيتها لليهود أو للمسيحيين. لطالما شكلت العلاقة ما بين نوعي

البلقان برميل بارود

ما إن أفلتت هذه المنطقة من قبضة السوفييات الحديدية، في بداية التسعينيات من القرن العشرين، حتى اشتعلت العداوات بين مكوناتها، مسببة أوضاعاً شديدة الخطورة، وقابلة للتصعيد، تماماً كما كانت الحال عام 1914. أما اليوم، فإن برميل البارود هذا يجب أن يبقى خامداً، وفي إطار بعيد من الصراعات. لهذا السبب وجب ضبط المسألة بصورة جيدة، وتلبية المطالب كما يجب، والتخفيف من مشاعر الإحباط. بالرغم من ذلك، ما زالت مشاعر الاستياء والتنافس البائدة سواء في البانيا، أو في مقدونيا، أو في ترانسنيستريا، أو في البوسنة، تستغل من أحزاب ليست لديها أية تجربة ديمقراطية. وبعد أن توقفت المواجهات المفتوحة بين الأطراف، تصافرت جهود كل من منظمة الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي، لتثمر في الأجيال الجديدة «أوربية» هذه المناطق واستئصال أسباب الحرب.



الدوافع، المادية والروحية، المحرك الحقيقي للمواجهات بين الأطراف.

المشاعر القومية

جرى الحديث عن عودة المشاعر القومية الأوروبية غداة الحرب الباردة. وكانت البروليتارية الدولية قد ادعت القدرة على تجاوز العداوات القومية. وقد عزز الاستقطاب الثنائي منطق الإمبراطورية داخل الفلك السوفياتي، مجمداً بذلك التوترات الإثنية من دون أن يضبطها. إلا أن سقوط النظام الشيوعي أعاد إحياء الانقسامات القومية، في يوغوسلافيا بالتحديد (تم الحديث

بعض المطالبات القومية في العالم المعاصر

كوسوفو (أوروبا)، كورسيكا (فرنسا)، بلاد الباسك (إسبانيا، فرنسا)، الشيشان (روسيا، القوقاز)، كازامانس (السنغال)، التبت (الصين)، الأويغور في شينغيانغ (الصين)، التاميل في سريلنكا، الفلسطينيين، كردستان (تركيا، العراق، إيران)

أيضاً عن حلفاء «سمر - حمر» بهدف تجميع القوى حول ميلوسوفيتش بالذات، الأمر الذي أعطى ثماره في أوساط عناصر اليسار المتطرف والقياديين الاشتراكيين القدماء). بعد ذلك تولى الاتحاد الأوروبي، على الرغم من الصعوبات، معالجة المسألة في البلقان بشكل حازم. أما بالنسبة إلى بقية العالم، فلم يتوقف عن برهنة استمرار وحدة المطالب القومية التي لم يتم إرضائها.

مع بداية القرن الجديد، انقسمت المشاعر القومية لتتوزع على أربع فئات:

استمرارية الشعور القومي القوي الذي يستخدم



تأوي سلسلة جبال القوقاز مجموعات كبيرة متنوعة من الشعوب، من مختلف اللغات والأديان، ما يشكل مصدراً للعديد من الصراعات.

كأسمت سياسي (الهند، الصين، الولايات المتحدة الأميركية، روسيا). دول تمتد على مساحات شاسعة، غالباً ما تبنت نظاماً فدرالياً يمنح المناطق استقلالاً داخلياً هاماً. بهدف إرساء سلطتها من دون اللجوء إلى الإكراه، وهو احتمال وارد على الدوام، تعمل على تطوير أيديولوجية قومية للّمْ شمل الجماعات المتباعدة مسافةً وتقاليدياً وثقافةً. استمرار الحركات النضالية للجيل الأول من أجل الاعتراف بالهوية الوطنية، في محاولات للوصول إلى تحقيق السيادة ضمن حدود واضحة ومضمونة: كردستان، فلسطين، الأويغور في شينغيانغ (الصين)، الشيشان، فضلاً عن العديد من المناطق في أفريقيا السوداء. استعادة المشاعر القومية (أو العرقية)، التي لم تكن مؤكدة أو واضحة المعالم من قبل. خوفاً على وجودهم، يميل أصحاب هذه الدعوات إلى القيام بمحاولات وحدوية، فيتبنون ادعاءات ترتبط بالتاريخ المغربي في القدم، ويعيدون تفسيرها بطريقة أقرب إلى الأساطير: ألبانيا «الكبرى»، صربيا «الكبرى»... إلّا أن هذه الأساطير يمكنها أن تكون شديدة الفاعلية. وهكذا شكلت «إسرائيل الكبرى» عنصراً مركزياً في البرنامج السياسي للييسار الإسرائيلي. في معظم



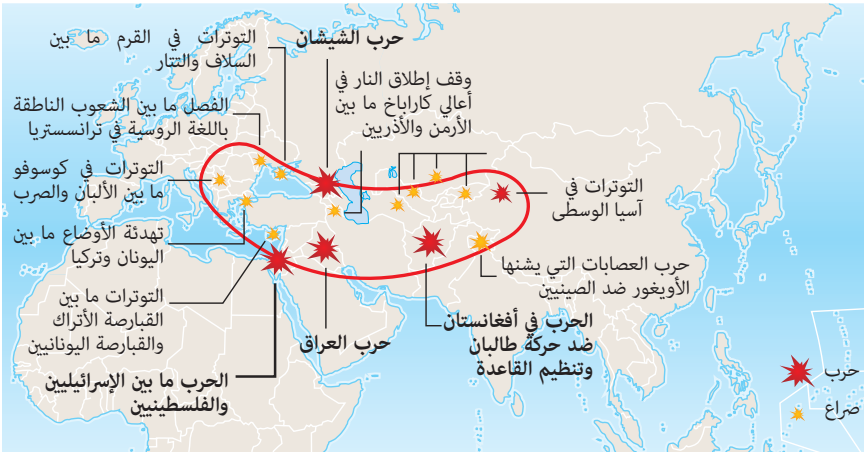
سكان مدينة كاشغار من الأويغور. قامت حكومة بكين بعمليات تطهير عرقي ممنهج طاول وسط هذه المدينة، وهو قلب المنطقة الإسلامية في الصين.

هذه الحالات تقريباً، قد تقوم قومية باضطهاد أخرى. من هنا تطرح مسألة سيادة الدولة على الأقليات القومية المتواجدة ضمنها، الأمر الذي يؤدي إلى بروز الحالة الأخيرة في هذا الإطار. بروز حالة من الخصوصية المنطقية أو استعادة لها. ومن الطبيعي أن تستفيد هذه الحركات من اختفاء الحدود ما بين الأجزاء الغربية من أوروبا ومن الرعاية التي توفرها لهم الدول (في ظل وجود الاتحاد الأوروبي وتحرر الاقتصاد القومي للدول)، واجدة جذوراً لها في التقاليد الثقافية المتاحة على الدوام. تتخذ تلك الخصوصية قيماً مختلفة بحسب نوعية الروابط التاريخية التي تربطها بالدولة. لقد وجدت اسكتلندا سبلاً للحكم الذاتي (البرلمان المحلي) من دون أن تعرض وحدة الكيان البريطاني للخطر. بعض المناطق الإيطالية (لومباردي أو البندقية) استعادت خصوصيتها من دون أن تأخذ بالاعتبار ضرورة الحفاظ على وحدة إيطاليا. إن المركزية المطلقة التي عرفت في ما بعد باليعقوبية واجهت صعوبة في إيجاد طرق تجمع الآراء على اتفاق مشترك. إلا أن السؤال يطرح بحدة لا تخلو من الخصوصية في فرنسا: في كورسيكا التي كانت فريسة الفوضى والتدهور، وفي إقليم الباسك حيث توجّه منظمة الإيتا الضربات بصورة أساسية إلى الأراضي الإسبانية.

بصورة إجمالية، وباستثناء حركة الباسك، وجدت الخصوصيات الثقافية الأوروبية في السياق السياسي والاقتصادي الجديد الذي أوجده الاتحاد الأوروبي، الفرصة لتأكيد الهوية والتضامن عبر الحدود، وذلك من دون اللجوء إلى العنف القوي. تلك هي حال الثقافة السلطية، التي تسود الغرب الأوروبي.

قوس الأزمات

هناك فئتان من الأوضاع الجيوسياسية. الأولى ثابتة (كما كانت الحال أثناء الحرب الباردة)، تتواجه خلاله «كتلتان» صلبتان. أما الاضطراب الذي لا يظهر إلا على الأطراف، فليس له أهمية تذكر لأنه مضبوط وتحت السيطرة. أما الثانية فهي متحركة. وهي تنطبق على ما يحصل في عصرنا هذا حيث أصبحت المجموعات متحركة، وليست محصورة ضمن حدودها.



قوس الأزمات. في الخمسة عشر عاماً الأخيرة، تركزت أسباب الصراعات بشكل كبير على امتداد القوس الأوراسي. لتفسير هذه الظاهرة، لا بد من أن نأخذ بعين الاعتبار تشابك الشعوب المختلفة، النفط والمسائل الدينية.

جملة مسائل عالقة عبر الحدود

منذ بداية القرن الحادي والعشرين، لم تعد المجموعات الجيوسياسية تعرّف من خلال الحدود الوطنية فقط، بل عبر مجموعات أكثر اتساعاً، لا تزال حدودها غير معروفة حتى الآن. كما أن منطق التوسع المتتابع يؤثر في الحلفاء الأطلسيين والاتحاد الأوروبي، الذي انتقل توالياً من 16 دولة إلى 28، ومن 15 دولة إلى 27، ولا أحد يعرف إن كان هذا التوسع سيتوقف هنا. هل ستدخل تركيا إلى الاتحاد الأوروبي؟ وما الذي سيترتب على ذلك من نتائج؟ ما من إجابة مؤكدة عن هذه التساؤلات. وكأنما على الأمور أن تمضي قدماً كي لا تضيع أي فرصة ولو كانت ضئيلة. فالشركاء والحلفاء يتمسكون الطريق من غير هدى. تتحرك القوات المسلحة الأميركية، فتسحب من أوروبا لتتوسع في مناطق أبعد فأبعد. وكلما تحركت أكثر، ساهمت في تدعيم مفهوم العولمة والتبادل في العلاقات الدولية.

لا شك في أن الثنائية القطبية شرق - غرب، وهي من نتائج الحرب الباردة، خلّفت حالة من التنظيم الجيوسياسي استمر جيلين. فتقسيم العالم على هذا النحو أعطى أيضاً امتيازات للجزء الغربي من نصف الكرة الأرضية الشمالي. وفي الوقت نفسه، التفاوت الهائل في مستويات النمو، عمّق الانقسام الكبير ما بين الشمال والجنوب، من دون أن يتحوّل هذا الانقسام إلى مواجهات عسكرية. إلا أن العلاقة بين الشمال والجنوب لا تشكل تقسيماً قطعياً.



مرجل آسيا الوسطى. بعد تفكك الاتحاد السوفياتي عام 1991، واجهت كل الجمهوريات المستقلة في آسيا الوسطى اضطرابات تتعلق بالحركات الإسلامية، وبالمسائل العرقية، وبالنفط وتجارة المخدرات.

الكتلة الأوراسية

منذ انتهاء الحرب الباردة، تشكلت في العالم جغرافيا من المواجهات عابرة للحدود. وها هي اليوم تفرض نفسها على الساحة العالمية. فمنذ عشرين عاماً ظهر إلى الوجود قوس من الأزمات تركز في الجزء الأوسط من جنوبي الكتلة القارية الأوراسية.

آسيا الوسطى، نطاق جديد للتوتر

بهدف تعزيز السيطرة على منطقة غير مستقرة سياسيا، وذات بنية اقتصادية سيئة، وتشكل بيئة محتملة لإيواء المتمردين والإرهابيين وغير ذلك من الأنشطة الإجرامية التي تهدد الاستقرار، قامت الصين بالتعاون مع روسيا، وكازاخستان، وقرغيزستان وأوزبكستان بتأليف مجموعة أطلق عليها اسم «شانغهاي». تهدف هذه المجموعة إلى مكافحة التجارة غير المشروعة، ومكافحة الإرهاب (الإسلاميين)، وتطوير البنى التحتية، والكشف عن مصادر الطاقة الطبيعية والتنقيب عنها. يشكل هذا المنتدى مكانا لتبادل المعلومات على مستوى رفيع. لم ترغب أذربيجان الدخول ضمن هذه المجموعة. وأظهرت بوضوح ميلها إلى جانب الولايات المتحدة الأميركية. وهذا ما يجعل إيران أيضا تظهر عدم ارتياحها في ما يتعلق بحدودها مع أذربيجان.

منذ بداية تسعينيات القرن العشرين، تراجع تأثير النفوذ الروسي 2000 كيلومتر. قدمت كازاخستان نفسها كدولة تشكل منطقة عازلة، على الرغم من عدم قدرتها على بسط قواتها بما يخدم تلك الفكرة. في المقابل، فإن وجود مصادر هامة للطاقة (النفط والغاز) في تلك المنطقة يذكي الأطماع. تتقدم الصين كقوة قارية وفق إيقاعها الخاص. وهي تتقدم باتجاه آسيا الوسطى، انطلاقا من شينجيانغ، التي تحكم السيطرة عليها إلا أنها لم تستغلها بعد بشكل كبير. إن الولايات المتحدة الأميركية التي ترغب بضم حلف الناتو إلى مسارها، تثبت وجودها في تلك المنطقة لسببين: أفغانستان، والأمل الذي يحدها بأن تتمكن من استغلال مصادر الطاقة الغنية في قلب الكتلة القارية الأوراسية، والتي لم تستغل بعد.

من وجهة نظر عدد من الخبراء في الصراعات الإقليمية، الذين يستخفون دوماً بفكرة نزاع الأسلحة النووية، والذين هم على احتكاك مع الحقائق التي تجري على الأرض، فإن هذا المنطق العابر للحدود ليس مفاجئاً على الإطلاق. مع ذلك، من غير المشكوك فيه أن الكثير من الصراعات القديمة جدا، سيعود من الآن فصاعداً إلى الظهور تحت عناوين جديدة، انطلاقاً من الثنائيات القطبية المتعلقة بالأسلحة النووية.

كما يبدو من الطبيعي في كل محاولة لعلومة هذه الظاهرة، أن يشكل انتشار قوس الأزمات وحدوده موضوعاً لإبداء وجهات النظر المختلفة. ويبدو هذا القوس قارياً بامتياز، إذ ينطلق من البلقان، فيكمل طريقه إلى تركيا وكردستان، لينتهي في كشمير. كما يضم في وسطه شمال إيران والعراق،



«الشرق الأوسط الكبير». هو مشروع قدمته إدارة بوش منذ عام 2002 كمشروع موازٍ لذلك الذي أرسته اتفاقية هلسنكي في أوروبا عام 1975.



توماس إ. لورنس، وعُرف بـ «لورنس العرب» (1888-1935). هذا الضابط والكااتب البريطاني الذي وقف إلى جانب القضية العربية في مواجهة الأتراك وأراد أن يكون صانع المملكة العربية الكبرى المستقلة في الشرق الأدنى.

مع امتداد نحو جنوب آسيا الوسطى، وهي مناطق كانت خاضعة للنفوذ السوفياتي السابق، وتحل أفغانستان مركزاً مفصلياً فيه. تبقى مسألة «الخروقات» التي تحصل في الشمال والجنوب: يجدر بنا العمل اليوم على تخفيض الأزمات حتى في شبه الجزيرة العربية. من هنا يطرح السؤال حول إمكانية الربط مع القرن الأفريقي، وهو منطقة غير مستقرة في بعض أجزائها. لا تظهر المواجهات ضمن هذا القوس لسبب واحد فقط، كانتشار الأصولية الإسلامية على سبيل المثال. بل تحدث نتيجة تصافر لعدد من عوامل عدم الاستقرار، التي تقوي بعضها بعضاً بالتبادل لكي تذكى نيران الحروب: دول متعثرة (على شفير الانهيار)، دول مخادعة، جاذبية مصادر الطاقة، الإثراء غير المشروع (المخدرات)، نقل البضائع المهربة بطرق تقليدية، غياب التنظيم الحقيقي لصالح أصحاب النفوذ. وهكذا نشأت الميليشيات والعصابات والمجموعات المسلحة ونمت.

وفيما تبدو روسيا كأنها تُدفع نحو الشمال، نجد الصين عند نهاية طرف القوس. يخبرنا ذلك عن الدور الذي ستضطلع به آسيا الوسطى في مواجهات القرن الحادي والعشرين، والذي سيكون من الآن فصاعداً دوراً بالغ الأهمية.

الشرق الأوسط الكبير (الجديد)

بإطلاقها مفهوم «الشرق الأوسط الكبير»، دفعت الدبلوماسية الأميركية ثمناً باهظاً من أجل عودة ناشطة للجيوستراتيجية، ما يعني انتشاراً من دون قيود للقوة الأميركية فوق مناطق «حرة». من المغرب حتى حدود باكستان، اعتقدت إدارة جورج دبليو بوش أنها تستطيع فرض مصالحها وقيمها، وذلك بتأثير كبير من المحافظين الجدد. هذه النظرة الطموحة لتوسع نفوذ الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها اصطدمت بعوائق في العراق، وأفغانستان، وباكستان. في عام 2009، وفي أثناء خطابه في القاهرة الذي وجّه فيه رسالة إلى العالم الإسلامي، أطلق أوباما نداء أخوة باسم الديمقراطية. فعدوى الثورات المتنقلة في سنة 2011، من المغرب إلى البحرين، ومن دون أي وحدة سياسية، أكدت وجود كيان جيوسياسي واسع تحركه تيارات عقائدية متنافسة، يحتل فيها الإسلام مكانة أساسية. وقد جعلت الانقلابات التي أطاحت بالأنظمة الاستبدادية الفاسدة (تونس، مصر، ليبيا...) من هذه المنطقة مسرحاً لمواجهات طويلة الأمد، مفتوحة على شتى التدخلات (كتدخل حلف الأطلسي في ليبيا، والمملكة العربية السعودية في البحرين). وفي خضم هذه الفوضى، فإن أحداً لا يمكنه التكهّن بالنتائج والمستفيدين الأساسيين.

الإنسان في مواجهة الحرب

نادراً ما نجد مدافعين عن الحروب، بل نجد إداة لها من حيث المبدأ. مع ذلك نجد أن الحروب ما زالت تشتعل بكل أشكالها المعروفة. وعلى الرغم من العنف البالغ الذي تتسم به، فهي لا تتوقف عن ممارسة سحرها على أولئك الذين يقومون بها، حتى لو كان مفهومهم لها يمكن أن يتغير مع تغير البلدان والعصور.

الربع

هل مسألة الربع متأصلة في الحروب؟ إن مفهوم الحرب النظيفة هو مفهوم مخادع. ذلك أن استخدام العنف يمكن كبحه، والحد منه، وتحديد كميته، وإخضاعه لضوابط معينة. عند وقوع المواجهات، يجد كل طرف من الأطراف المتنازعة نفسه، مضطراً إلى القبول بحدود وقواعد معينة كي لا تصبح قواه الذاتية ضحية للعنف المنفلت العقال. وتتغير قواعد اللعبة بحسب العصر: إذ يمكنها أن تشمل التخلي عن استخدام أسلحة معينة، أو عن خطط معينة تتعلق بالمعارك. كما يمكن أن تتضمن قواعد تستخدم في مواجهة العدو، الذي يغدو منافساً جديراً بالاحترام (مثلاً، اتفاقات جنيف التي أبرم أولها عام 1864، بعد مبادرة من الصليب الأحمر). بصورة عامة، يمكننا التمييز ما بين الربع الذي يصاب به المرء عفويًا، والذي ينتج من التعرض لهجوم وحشي من عصابات، تهاجم بضراوة لإشباع حاجة بهيمية لديها، وهي لا تخضع لأيّة ضوابط، وذلك الربع المخطط له ذي الأهداف الواضحة والمحددة تماماً.

النوع الأول ينتمي في الواقع إلى حرب ليس لها قواعد أو ضوابط. فانطلاق العنف من عقاله يكون سيد القتال، ويقع العدو في الأسر أثناء ممارسة هذا النوع من العنف، إذ يسود منطق يرتكز على قواعد حسابات معينة، ولا سيما عندما يتعلق الأمر بمجموعات غير محترفة. والعنف يولد عنفاً مضاداً ينطلق من مبدأ الثأر الفردي. يتقبل المقاتلون فكرة موت أحد الرفاق، لكن إذا ما تعرض هذا الرفيق للتعذيب أو التشويه، يتحول الأمر إلى مسألة شخصية. وهذا فح يمكن أن يستخدمه العدو بهدف ارتكاب أفعال فظيعة يستطيع أن يستغلها على الصعيد النفسي.

المفهوم الأميركي للحرب «من دون ضحايا»

ظهر هذا المفهوم أثناء حرب الخليج ما بين 1990 و 1991. ويشير مفهوم الحرب «من دون ضحايا» إلى قدرة أحد الأفرقاء على كسب الحرب من دون تكبد خسائر – أو بخسائر ضئيلة جداً – في صفوفه. في مرحلة لاحقة، تم إدخال تعبير «حرب إنسانية»، وذلك التعبير استخدم في حرب كوسوفو (عام 1999)، والذي هو حسب تعريفه، السعي إلى الحد من خسائر العدو أيضاً. بحيث يتم تجنب المدنيين من طريق التقليل من الأضرار المباشرة التي تسببها الضربات العسكرية. هذا المفهوم «من دون ضحايا» الذي هو مفهوم غامض في نهاية الأمر، يبقى مرتبطاً بطبيعة المواجهة وقيمة هذه القضية بالنسبة إلى كل واحد من اللاعين، وحرب العراق 2003 – 2004 خير شاهد على ذلك.



أحد مشاهد تعذيب السجناء العراقيين من سجانهم الأميركيين في كانون الأول/ ديسمبر من العام 2003 في سجن أبو غريب، بالقرب من بغداد. هذه الأحداث التي تناولتها الصحافة العالمية على نطاق واسع، طرحت مسألة التعذيب على بساط البحث من جديد، مع الإشارة إلى انفتاح السلطات الأميركية على الصحافة.

الشكل الثاني من أشكال الرعب أثير، ونُظِم وخطط له لتحقيق أهداف استراتيجية (بدءاً من نهب روما من قبل الفندال عام 455، وصولاً حتى استيلاء القوات اليابانية على نانجينغ عام 1938). السماح بالنهب هو بمثابة مكافأة للجنود الذين تحملوا طويلاً مقاومة العدو، كما تعتبر مكافأة للمرتزقة، خصوصاً عندما لا تتوافر الوسائل لدفع أجورهم.

إن الرعب متعدد الأشكال، وهو يتجسد بطرق متعددة؛ من طريق ارتكاب المجازر، حيث تملأ الجثث زمان المعركة ومكانها. وقد عرف عن تيمورلنك (1336 – 1406) أنه قام ببناء أهرام من الجماجم. ونتابع عبر التاريخ لنتوقف عند مقابر كاتين الجماعية (بولونيا، 1939)، وحقول المجازر في كمبوديا (1975 – 1979)، ورواندا (1994)، والتطهير العرقي في البوسنة (1992 – 1995). وإذا ما تحدثنا عن الاغتصاب، فإن الأمر يتعلق هنا بالترهيب أكثر منه بالإهانة. مثال على ذلك المجازر التي ارتكبتها الجماعات الإسلامية المسلحة في الجزائر، خلال التسعينيات من القرن العشرين، والتي غالباً ما ترافقت مع «زيجات المتعة».

﴿كرو﴾ أنشئ معتقل غوانتانامو، في قلب القاعدة العسكرية لغوانتانامو، كوبا، وقد بدأ العمل به في نهاية 2001، ولا يزال قائماً على رغم تعهد الرئيس أوباما بإقفاله. وقد استقبل عدة آلاف من الأشخاص من جنسيات مختلفة اعتقلوا وجمعوا من جميع أنحاء العالم. في ظل عدم تمتعهم بأي غطاء قانوني، حتى ذلك المتعلق بسجناء الحرب، وتعرضهم لسوء المعاملة والإذلال النفسي، فإن معتقلي غوانتانامو، الذين من دون أدنى شك ليسوا كلهم ضحايا بريئة، انتظروا سنوات عديدة قبل صدور حكم القضاء العسكري الأمريكي.



عن طريق التعذيب. ما الغاية من تعذيب عدو اعتقل، وهو في حالة من العجز التام؟ للحصول على معلومات في أثناء حالة طارئة (مثال على ذلك القوات الفرنسية في معركة الجزائر عام 1956، حيث كان يجب معرفة مكان وجود القنبلة على وجه السرعة). وفي ما يتعدى التعذيب المتعلق بالمسائل العرقية، غالباً ما يبدو التعذيب عديم الجدوى، فالشخص الذي يخضع للتعذيب يعترف بأي شيء حتى لو كان خيالياً. إلا أن «تخطيم كيان الشخص معنوياً ونفسياً» يمكن أن يؤدي في بعض الحالات إلى نجاح عملية الاستجواب في البحث عن معلومات دقيقة بشأنها. ها نحن نصل إلى المسألة التي تتعلق بالمبادئ وعدم التماثل: هل ستمتنع دولة ديموقراطية عن القيام بما يقوم به عدوها من دون تردد؟

هل تشد الحبل من جهة لترخيه من جهة أخرى؟ على أرض الواقع، تعتبر هذه المسألة من مسائل عدم التماثل الأكثر صعوبة التي يتم التعاطي معها. إن احتلال منطقة ما لفترة طويلة يخلق هذا النوع من الوضعيات بصورة متكررة، ما دام الشعب الواقع تحت الاحتلال يقاوم بطرق عفوية، غير عسكرية، ومرتبطة بالحياة اليومية. هذا ما كان يحصل في إسبانيا (1937) من القناصة والمؤيدين والعصابات المسلحة، وفي فرنسا أو في الاتحاد السوفياتي ضد الاحتلال النازي، حيث نجم عن الأسباب نفسها النتائج عينها. أدت أفعال حركات المقاومة إلى الانتقام، واحتجاز الرهائن، ما جعل الجميع يدخلون في دوامة من الثأر والتصدي للقمع، تحت حماية المواطنين المدنيين، سواء كان ذلك بمشاركة أم من دونها. إذا ما تتبعنا مسار التاريخ نجد أن الشعوب والدول البريئة نادرة. ما يشكل درساً قاسياً في التواضع لمن يدعي أنه مثال على البراءة.

تعداد لبعض الجيوش الوطنية

الولايات المتحدة الأمريكية:
1564000 (الدولة الوحيدة التي يعد الاحتياطي فيها قوياً ومتوافراً بشكل حقيقي عند أي إخطار سريع).
الصين: 2285000 (بداية مرحلة تخفيض الأعداد الضخمة منذ 1998).
الهند: 1325000.
روسيا: 1046000.
اليابان: 247000.
بريطانيا العظمى: 178500.
فرنسا: 238600.
تجدد الإشارة إلى أن الأعداد لا تعكس النوعية. وحدها الولايات المتحدة الأمريكية تتمتع بالعاملين معاً.

من يقوم بالحروب؟

غالباً ما قامت العمليات الحربية عبر التاريخ بصهر المجموعات في المجتمع في بوتقة واحدة، لتضفي عليها صبغة فردية: كامتياز حمل السلاح الذي احتفظ به المحاربون واحتكروه لأنفسهم. وفضلاً عن المنزلة الأرستقراطية التي حظي بها هؤلاء بفضل هذا الامتياز، اكتسبوا الحق في رفع الضرائب التي كانت تغطي أسلوب حياة مكرس لخدمتهم، وليس فقط مصارفهم الحربية. أثناء سيادة النظام الإقطاعي في أوروبا الغربية، كانت الروابط المعقدة ما بين الطبقة العليا والطبقة الدنيا من المحاربين النبلاء تخلق التزامات متبادلة مكلفة (مثل الخدمة العسكرية المتوجبة على التابع تجاه سيده) تتوجب على التابعين تجاه الإقطاعيين. إن الحكم الملكي

خسائر الحروب المعاصرة

تجاوزت الخسائر العسكرية التي تكبدتها الجيوش في الحرب العالمية الأولى أكثر من 8,5 مليون قتيل، أما الخسائر في الحرب العالمية الثانية فتجاوزت إلى 16,5 مليون قتيل (يضاف إلى هؤلاء قرابة 22 مليوناً من الضحايا المدنيين). ومن الصراعات الأكثر دموية بعد العام 1945، نذكر الحرب في الهند الصينية (50000 جندي وأكثر من مليون مدني فيتنامي، و120000 رجل من القوات الفرنسية والمحلية)، وحرب فيتنام (95000 من المقاتلين وأكثر من 1000000 من المدنيين الفيتناميين من الشمال والجنوب، مقابل 58000 أميركي) والحرب العراقية الإيرانية (مليون قتيل على الأقل).

المطلق شكل بالتالي خليطاً ما بين طبقة النبلاء المحاربين «الوطنيين» أو «أبناء المناطق» والمرتزقة الغربية (السويسريين أو الاسكتلنديين على وجه التحديد). أما في الغرب، فقد أطال الأرستقراطيون البروسيون عمر هذا التقليد الطبقي المطلق، الذي يعتمد على عائدات الزراعة في الأرياف حتى العام 1945. وفي اليابان، ظل المحاربون يسيطرون على السلطة حتى هزيمة اليابان أمام الولايات المتحدة الأمريكية، بينما عرفت الصين عصر الممالك المتحاربة. ما زال هذا النوع من التنظيم الاجتماعي سائداً حتى اليوم في العديد من مناطق العالم، بدءاً من باكستان وصولاً إلى الكونغو - زائير، أرض الحروب بامتياز.

في أثناء ذلك، تطور خلال الأزمنة الماضية نموذج عسكري آخر، يعتبر قديماً إلى حد ما. كانت مدينة أثينا (القرن الخامس قبل الميلاد) تعطي الأفضلية السياسية للمواطنين الذين قاموا بالخدمة العسكرية، وقد سارت المدن الإيطالية الأخرى على النهج ذاته خلال عصر النهضة. بعد ذلك كانت الجمهورية (أو

الملكية الدستورية) تحشد الجيوش باسم الديمقراطية وباسم المجموعة المعرضة للخطر، حتى إنها فعلت ذلك باسم الاشتراكية. ومن المؤكد أنها كانت تخضع المواطنين لتدريب يجعلهم يمتلكون مستقبلاً الحد الأدنى من المهارة. إلا أنها في الأساس كانت تعتمد، وقبل أي شيء آخر، على الدوافع الأخلاقية العميقة الموجودة لدى هؤلاء، والتي يفترض إليها المحاربون المحترفون، وأكثر من يفترض إليها المرتزقة. إن الجدل حول كون الجندي مهنة أم لا استمر عبر العصور والثقافات. وما زال السؤال الأساسي حول العلاقة ما بين السلطة السياسية والقوة العسكرية مطروحاً على بساط البحث، وسيبقى على الدوام مسألة حاضرة بشكل يومي، في محاولة للبحث عن خطوط توازن، عن طريق التكيف مع التطور التقني والاجتماعي في علاقتهما مع البيئة العالمية.



إنزال القوات الأمريكية في النورماندي، في 6 حزيران/ يونيو من عام 1944. مقابل 175000 رجل نزلوا على الشاطئ أو بالمظلات، لم يتكبد الحلفاء يوماً سوى 5000 قتيل.

في نهاية القرن العشرين، ونظراً لتزايد التعقيدات المادية، انتصرت فكرة الاحترافية في ما يتعلق بالقوات المسلحة الأوروبية، فابتعدت بذلك عن تقليد قديم للتجنيد يرتكز على مفهوم المدنية وعلى النظام الجمهوري (في غالب الأمر).

الخصائر

في كتابه المميز «دراسات حول المعركة»، كتب الفرنسي أردان دي بيك (1821 - 1870): «الإنسان لا يتحمل سوى كمية محددة من الرعب». نستنتج من ذلك أن المعركة يجب أن تكون محددة بصرامة. هذا الأمر يتطلب تحضيراً منهجياً منذ البداية، يهدف بالدرجة الأولى إلى السيطرة على الخوف وإلى تغليب غريزة البقاء. التقنيات المستخدمة في المعركة تسمح للفرد باكتساب مهارة تمنحه الثقة بالنفس.

المريخ والزهرة: رؤيتان للعالم

«حان الوقت لكي نكف عن الادعاء أن الأوروبيين والأميركيين يملكون الرؤية ذاتها للعالم. فقد ابتعدت أوروبا عن امتلاك القوة العسكرية، وتحولت إلى حالة من ضبط النفس الناتجة عن القوانين والقواعد التي أفرزتها المفاوضات والتعاون في ما بين دولها. لقد دخلت أوروبا في فردوس من السلام والازدهار النسبيين. أما الولايات المتحدة الأميركية - وبحسب مفهوم هوبز - فتهدف إلى خلق عالم تسوده الفوضى، وهو عالم من دون قوانين أو ضوابط (...). حيث يرتبط كل شيء باستخدام قوة السلاح. يستوحى الأميركيون رؤيتهم من المريخ، أما الأوروبيون فيستوحون رؤيتهم من الزهرة».

روبرت كاغان
القوة والضعف، 2003.


خوض المعركة يتطلب معرفة حدين: الوقت، من هنا تأتي ضرورة تبديل الوحدات، والآخر هو الحد من الخسائر ضمن الوحدة نفسها بطريقة يحافظ فيها على الأمل بالنجاة وعلى الروح المعنوية المرافقة له. سرعان ما يتملك التعب والتوتر الناتج عن المعركة القوات الأكثر شجاعة. إضافة إلى ذلك، وحتى في المواقف الصعبة، من المهم ألا تشعر أية وحدة أنه سيتم التضحية بها، إذ يمكن للباس أن يتخذ أشكالاً متنوعة، بدءاً من العناد حتى الاستسلام من دون قتال، وصولاً إلى الهرب، والتنازل، بل حتى العصيان. في النهاية، حفظ العلاقة مع الخلفية، مع الوسط العائلي هو ما جعل نظام الإجازات القديم يتطور باتجاه مبدأ تبديل الفرق، الذي يُلبأ إليه بأكبر تكرار ممكن.

على الرغم من ذلك ما زالت الحروب تجتذب البشر، بمن فيهم أولئك الذين يقضون خلالها. إنها أشبه بعرض مسرحي: أبواق، طبول، رايات، أزياء منسقة، بريق المعادن، تألق الانفجارات، مسارات الصواريخ أثناء الليل... الحرب هي أيضاً كشف الإنسان لنفسه أمام نفسه: قدراته، صفاته، التضامن، الإخلاص، التنسك، التضحية في سبيل الآخرين. تشهد على ذلك مؤلفات أدبية غريبة لرجال حرب وثقافة (لا سيما إرنست يانغر، وإريك فون سالومون). تجرأ هذان الكاتبان على التحدث، من دون تردد، عن متعة الخطر، والشعور بالاكْتفاء عند إنجاز العمل بشكل جيد. لقد وصفا تجربة النشوة الجسدية والنفسية الناتجة عن ارتكاب العنف بحرية. وأعاداً إلى أذهاننا ذكري حقبة مظلمة من تاريخ الكائنات البشرية.

إدراك معنى الحرب

إن الأنية الظاهرية للحرب، التي تعتبر وسيلة مسخرة لخدمة الغايات السياسية المختلفة، يجب ألا تحجب اختلاف إدراك الناس لها باختلاف الزمان والمكان. هذه التشوهات التي طالت منزلة الحرب في وعي الشعوب، كما في وعي من يوجهونها، نتج عنها تباعد بين المجتمعات، وهذه التشوهات قادرة على إنتاج حالات من سوء الفهم والنزاع، بل الوصول أيضاً، وبصورة خاصة، إلى صدامات مميّنة ما بين الإدراكات المتعاكسة للحرب، كما يحدث عند وجود تفاوت على الصعيد التكنولوجي، وهذا ما أثبتته الرحلات الاستكشافية التي استهدفت أماكن بعيدة، بدءاً من تلك التي قام بها الاسكندنافيون وصولاً إلى المستعمرين البريطانيين، مروراً بالفاتحين الإسبان. على عتبة الألفية الثانية، تغيرت قيم الحروب بالنسبة إلى شعوب أوروبا. فالحرب توقفت عن كونها وسيلة عادية تستخدم في إطار السياسة، لتصبح حلاً نهائياً للأوضاع التي تعتبر «كوارث إنسانية».

وهكذا نجد أن الشعوب التي تعتبر تقليدياً شعوباً محاربة، كالسويديين واليابانيين، يمكنها أن تتحول عن شن الحروب تدريجياً أو بصورة فجائية. يتفق الأوروبيون اليوم على استبعاد الحرب عن قارتهم. وعلى النقيض من حلفائهم الأميركيين، هم لا يوافقون على استخدام القوة المسلحة إلا ضمن دور محدد يستمد شرعيته من الأمم المتحدة. وفي الواقع، ليس هناك أي تحالف يمتلك السلطة العليا التي تخوله اتخاذ قرار بشأن الحرب والسلام. أما على المستوى العملي، فقد اتخذ هذا النقاش الأساسي ما بين الدول «الأطلسية» منعطفاً حاداً، تتابعه الدول الآسيوية والشرق أوسطية عن قرب.



لكي نفهم حقيقة الحروب في العصر الحديث، من الملائم أن نقوم ببعض التحليل؛ أين تقع مناطق المواجهات الجديدة، وما هي نتائج التطور في مجال التسلح. إذا كانت الحروب اليوم كثيرة التنقل، عندئذ يمكننا أن نتحدث عن «قوس من الأزمان» يبدأ من المغرب لينتهي في الصين، بحيث يتركز نشاطه في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى. هذا القوس يشمل بلداناً ومناطق تتسم بالصراعات المرتبطة بالثروات (النفط)، والتخلف، والمطالب الوطنية والمواجهات الدينية. وهذه الاضطرابات تتفاقم بسبب المسألة المتعلقة بانتشار الأسلحة النووية. القوى العظمى، وخصوصاً الولايات المتحدة الأميركية، تعتمد في إظهار تفوقها على التطور التكنولوجي في المجال الحربي: الصواريخ، الاستخبارات الإلكترونية. كما أنها تقوم بتطوير شكل جديد من الاستراتيجيات الكونية، وهي استراتيجية يطلق عليها اسم «ثورة في مجال التسلح» (RMA).

غرفة التحكم في حاملة طائرات أميركية. تتطلب الحرب في عصرنا الحالي إدارة دقيقة لنقل المعلومات في الوقت الصحيح.

الحرب والتقنيات المتطورة



وسائط الحرب الحديثة

الأسلحة النووية، الصواريخ البعيدة المدى والتقنيات الإلكترونية تشكل الركائز الثلاث الأساسية لآلة الحرب في العالم المعاصر. كل واحدة من هذه التقنيات تخضع لمنطقها الخاص، العسكري والسياسي على السواء.

انتشار الأسلحة النووية في عصرنا

مسرح يسوده الغموض، مكان تملؤه الأسرار، محرمان وكثير من النفاق، يشكل انتشار الأسلحة النووية أرضية خصبة لقيام المواجهات في العالم. يتم التجسس التقني عن طريق الأقمار الصناعية الاستطلاعية، وكذلك المعدات اللاسلكية العديدة المخفية، والموضوعة على مقربة من المواقع المشتبه فيها بشكل يسمح لها بقياس الانبعاثات المشعة الموجودة في محيطها وتحليلها. كما يتم التجسس أيضاً بواسطة الاستخبارات البشرية، التي توجه المعدات التقنية. في كل الحالات المعروفة، سمح تدخل المعارضين والمنشقين - الذين يتطلب صدقهم الكثير من الحذر - بتنظيم الوقائع وبتوجيه أصابع الاتهام إلى الدول المذنبة.

انتشار الأسلحة النووية و«الحد من انتشار الأسلحة النووية» إن المعارضين على انتشار الأسلحة النووية كثر، إلا أن دوافعهم غالباً ما تكون متناقضة. ففيما نسمع أن واشنطن تريد الحفاظ على أحادية امتلاك هذه الأسلحة وحصرها بالدول المعروفة مسبقاً، نجدها تسعى لمنع الدول الأخرى التي تحاول الحصول على الأسلحة النووية من امتلاكها من أجل الحفاظ على التفوق العسكري الأميركي الذي يعتمد على مساندة الحلفاء الأطلسيين.

اتفاقية الحد من انتشار الأسلحة النووية (TNP)

وبتأييد حصول كل الدول الأخرى على التقنيات النووية المستخدمة لأغراض مدنية، في إطار تطوير مجالات الطاقة في هذه الدول. في عصرنا الحالي، يرفض عدد من الدول التوقيع على تلك المعاهدة، بحجة عدم المساواة والتمييز ما بين الدول. وقد تبنت هذا الموقف كل من فرنسا، الصين، الهند، إسرائيل، البرازيل والأرجنتين. أبرمت المعاهدة منذ خمسة وعشرين عاماً، وبعد أن صدقها عدد محدود من الدول، أضحت سارية المفعول في العام 1970. أما المؤتمر الذي عقد عام 1995 لإعادة النظر في تلك المعاهدة، فقد جعلها ذات مدة غير محددة. وقعت عليها يومها مئة وتسع وسبعون دولة، منها فرنسا، الصين، البرازيل والأرجنتين.

أبرمت اتفاقية الحد من انتشار الأسلحة النووية عام 1968 في سياق الحرب الباردة. فكانت بمثابة تجسيد للتفاهم بين العملاقين النوويين اللذين أملا أن يتجنبنا تبيد الإمكانات النووية العسكرية في أنحاء العالم، حفاظاً على أمنهما الخاص. هذه التركيبة الغريبة قسمت الدول إلى فئتين: أولئك الذين يمتلكون السلاح النووي («الخمسة الكبار» في ذلك الوقت، وهم: الولايات المتحدة الأميركية، الاتحاد السوفياتي، فرنسا، المملكة المتحدة والصين) والدول الأخرى، التي تنازلت عن حقها في امتلاك السلاح النووي. في المقابل، التزمت الدول التي تملك أسلحة نووية بتخفيض ترسانتها النووية الخاصة، وبعدم تزويد الدول الأخرى بالأسلحة النووية،



عبد القادر خان (Abdel Kader Khan). يعد هذا العالم الفيزيائي الباكستاني بمثابة «الأب الروحي» للقنبلة الذرية التي صنعها بلاده. لقد حصل على الوثائق العلمية الضرورية عن طريق اختلاس الوثائق السرية من شركة هولندية كان قد عمل فيها لبعض الوقت.

يسعى دعاة السلام إلى القضاء على كل الأسلحة الذرية إن لم يكن مجمل الطاقة النووية، من أجل أهداف الحفاظ على البيئة. في الواقع، من الصعب أن نجد منطقاً سليماً في هذه المعركة المشكوك في صحتها.

عرفت الجهود الهادفة إلى السيطرة على انتشار الأسلحة النووية ثلاث مراحل:

• 1945 - 1968: تزايد القوى العظمى التي تمتلك الأسلحة النووية.

• 1968 - 1996: استمر الانتشار بتفاهم ضمني بين القوتين العظميين على خلفية

اتفاقية الحد من انتشار الأسلحة النووية، تبع ذلك مرحلة انتشرت فيها هذه الأسلحة بشكل ملحوظ.

• بدءاً من العام 1996، بدأت مرحلة جديدة تميزت باضطراب كبير، تخللته أحداث بارزة (التجارب النووية في الهند وباكستان في أيار/ مايو من العام 1998) أدت إلى أزمات ذات أبعاد دولية، قادرة على إشعال فتيل الحرب. ومع نهاية الألفية الثانية، توالى الكشف عن النوايا النووية. اعترفت كوريا الشمالية في نيسان/ أبريل من عام 2003 أن لديها برنامجاً نووياً سرياً. وتمكنت إيران من القيام بنشاطات نووية في موقع ناتانز عام 2003. كما أصرت باكستان على متابعة النشاطات التي بدأها عبد القادر خان الذي كان رئيس مركز الأبحاث الذرية الباكستانية، والذي يعتبر «الأب الروحي» للسلاح النووي في هذا البلد. بعد أن تلقى التدريب في شركة URENCO في هولندا، التي حصل فيها

على شهادته العلمية عام 1979، تمكن عبد القادر خان من تأسيس شبكة قادرة على المشاركة في التجارة النووية العالمية، مستفيداً من المعارف التي تعلمها، ولا سيما في مجال تقنيات الطرد المركزي في تخصيب اليورانيوم. ثم جاءت المفاجئة من ليبيا عندما أعلن زعيمها معمر القذافي وقف برامج بناء الأسلحة النووية. نتيجة التهديدات الخفية الصادرة من الولايات المتحدة والمملكة البريطانية، اعترفت طرابلس بامتلاكها جزءاً من المعدات اللازمة لذلك عن طريق باكستان.

خريطة (على الصفحتين التاليتين)

بشكل انتشار الأسلحة النووية أحد أكبر الأخطار التي تتهدد العالم في السنوات المقبلة. فالدول التي تمتلك تلك الأسلحة منذ زمن طويل سوف تتصدى لتلك الدول «الطائرة» على هذا المجال وتحاول أن تجعل استخدامها له يقتصر على الأغراض المدنية.

ألاسكا
(الولايات المتحدة الأمريكية)

الولايات المتحدة الأمريكية

النرويج

المملكة المتحدة

فرنسا

إسبانيا

الجزائر

ليبيا

البرازيل

الأرجنتين

بلدان يُسمح بامتلاكها للسلاح
النووي وهي عضو في TNP

بلدان اختبرت القنبلة النووية،
وليس عضو في TNP

بلدان أوقفت برنامجها النووي
ووقعت على اتفاقية TNP

بلدان اعترفت بإجراء تجارب على
البلوتونيوم المحظور بموجب TNP



معمر القذافي رئيس ليبيا (هنا مع فيديل كاسترو) منذ 1969، قاد جوقه معارضي سياسة الغرب والإرهاب. وبعد انعطافة استعراضية في عام 2003، أعاد ربط علاقاته بالأوروبيين. لكن القمع الذي كان يمارسه تجاه شعبه أدى إلى تدخل عسكري من الولايات المتحدة وإدانته، كان نتيجة سقوطه ثم مصرعه في تشرين الأول/ أكتوبر 2011.

بدأت مرحلة جديدة من مكافحة انتشار الأسلحة النووية مع انتشار المبادرات الأمنية لحكومة بوش، في أيار/ مايو 2003، مباشرة بعد توقف المعارك في العراق بشكل رسمي. بهدف إحكام السيطرة على النشاطات النووية وفقاً لاتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية، ومن أجل مراقبة انتقال هذه الأسلحة دولياً، من البلدان التي تعتبر دولا استعمارية وإليها. من ناحية أخرى، وعلى المستوى القانوني، قررت الأمم المتحدة إدانة تجارة الأسلحة النووية.

السيناريوهات المختلفة

هل يشكل انتشار الأسلحة النووية محرّكاً جديداً للحرب؟ إن كانت الإجابة عن هذا السؤال بالإيجاب، يمكننا أن نقترح ثلاث استراتيجيات للمستقبل.

– البقاء في الوضع الراهن، المتمثل بحالة الجمود واللامبالاة. وفي ظل خطابات ملائمة لكنها غير فعالة، تنتشر الأسلحة النووية في العالم أكثر فأكثر.

– تخفيض وعدم انتشار. هذه الاستراتيجية تعني دعم الأنظمة الحالية، وتطبيق صارم لمقاييس السيطرة على تلك الأسلحة. كما تتضمن أيضاً المخاطرة بانتشار عارم للمحطات النووية المستخدمة في أغراض سلمية، والتي تبدو لعدد من الاختصاصيين، أحد الحلول الجذرية لمسألة إيجاد بديل أقل كلفة يسد النقص في مصادر الطاقة الأحفورية، هذا إن لم نأخذ بالاعتبار المنظور البعيد المدى المتعلق بالانصهار النووي الحراري (التحام عدد من نوى الذرات معاً).

في خضم هذا العمل الضخم، ينتهي بنا الأمر بأن ننسى التعهدات المعلنة للقوى العظمى، بخفض ترسانتها من الأسلحة النووية. فلا مؤشّر واضحاً أن الولايات المتحدة الأميركية أو روسيا قامتاً بأي تفكيك لترسانتيهما، أي إلى حد يقارب المعيار الكافي الذي نراه اليوم لدى فرنسا والصين والمملكة المتحدة.

- التصدي الفعال للانتشار يأخذ أشكالاً مختلفة، قد تصل إلى شن حرب، كما حصل في حالة العراق. إلا أن التأثير السلبي للتدخل الأميركي في العراق، خلف نتائج ثقيلة. فالشكوك التي أثارتها الولايات المتحدة الأميركية حول صحة أعمال التفتيش التي قامت بها الوكالة الدولية للطاقة الذرية (AIEA)، أدت إلى نشوب حرب تحت ذريعة تبين لاحقاً أنها خاطئة.

بعد أن قامت الأمم المتحدة بالتفتيش عن الأسلحة النووية

في العراق، تبين أنه لا يملك مثل هذه الأسلحة، ولهذا السبب بالذات تم توجيه الضربة العسكرية إليه، من دون مخاطر. أما كوريا الشمالية فازدادت قوة بعد امتلاكها القوة النووية، ويبدو أن إيران تدرك أن امتلاك السلاح النووي هو أفضل ضمانة للأمن القومي. أخذاً بالاعتبار هذه التطورات، أعلن الاتحاد الأوروبي أنه يفضل اللجوء إلى المفاوضات الدبلوماسية الطويلة الأمد (التي تجلت في تدخله في الشأن الإيراني في خريف العام 2003). على أي حال، يبقى اللجوء إلى القوة احتمالاً وارداً لدى الاتحاد الأوروبي، إذا ما فشلت المفاوضات.



كيم جونغ إيل (1942 - 2011). خلف والده كيم إيل سونغ عام 1994 بالتربع على رأس السلطة في كوريا الشمالية، وقد صنف في مرتبة مهمة على لائحة الولايات المتحدة الأميركية لـ «الدول المارقة».



وزراء خارجية الدول الأوروبية (بريطانيا العظمى، فرنسا وألمانيا) مع أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني (الرئيس الحالي للجمهورية الإيرانية). حاول هؤلاء عامي 2003 و2004 حمل إيران على التخلي عن برنامجها للتسلح النووي.



صاروخ إيراني أرض - أرض شهاب 2 ظهر إلى العلن خلال استعراض عسكري في طهران عام 2003. ويشكل برنامج التسلح العسكري الإيراني أحد أكبر مصادر القلق بالنسبة إلى حكومات الدول الغربية.

صواريخ وصواريخ مضادة

الصاروخ عبارة عن ذخيرة جوية موجهة من دون طيار. يجب تحديد هدفه بأعلى دقة ممكنة. إذ لا يمكن أن تتم استعادته. تمت التجارب الأولى للصاروخ خلال الحرب العالمية الثانية من الألمان باستخدام صواريخ V1 و V2. المعطيات التكنولوجية

الصاروخ الجواله هي صواريخ تتوجه على ارتفاعات منخفضة، كي لا تتمكن الرادارات من رصدها، وبسرعة مخفضة (أقل من سرعة الصوت). إن زيادة سرعة هذه الأسلحة وحمولتها خلال العقود القادمة القريبة، ستجعلها على الأرجح واحدة من الأسلحة الأكثر خطورة، وذلك لعدم وجود أنظمة دفاعية فعالة.

الصواريخ البعيدة المدى والصواريخ القصيرة المدى: مسألة تقنية وسياسية في آن

يمكن العراق أن يعطي هذه الضربات صفة الضربات الاستراتيجية، بغض النظر عن تأثيرها، ذلك أن جميع السكان المتمركزين في تلك المساحة الضيقة من الأرض، يشكلون هدفاً محتملاً لتلك الضربات.

قدرة الصواريخ العابرة للقارات تتراوح ما بين 7000 كلم وما فوق وحتى 12000 كلم تقريباً. إذا ما كانت القدرة على تصنيع الصواريخ القصيرة المدى المؤلفة من طبقة واحدة في متناول العديد من الدول، فإن اجتياز مسافات بعيدة باستخدام طبقتين أو ثلاث ما زال يشكل تحدياً تقنياً ذا بعد آخر، لا تقدر عليه سوى القوى النووية الخمس العظمى فقط.

هناك نوعان من الصواريخ الباليستية: الصواريخ القصيرة المدى وتلك العابرة للقارات. وغالباً ما يتم الحديث عن الصواريخ الاستراتيجية والصواريخ التكتيكية، حيث تترك هذه التسميات نوعاً من الغموض حول هذا الأمر. فالمسألة تتعلق في الواقع بالمسافة التي تفصل ما بين المتخاصمين وبالحمولة التي يزودان بها الصاروخ (داخل المخروط). تقع عاصمة الهند (نيودلهي) على بعد أقل من 600 كلم على الأقل من الحدود الباكستانية، وهكذا يمكن الصواريخ القصيرة المدى أن تطلقها. الأمر نفسه ينطبق على صواريخ السكود التي تطلق على إسرائيل، إذ


الصاروخ الذي يُسمى بالاستيّا بسبب مساره، يستخدم وقوداً سائلاً (من النوع الذي يعطي طاقة دافعة) أو صلباً (على شكل مسحوق). يسافر هذا الصاروخ (أو ينتقل) بسرعة تفوق سرعة الصوت. مرحلة السقوط تمنحه زيادة في السرعة تصل إلى عدة كيلومترات في الثانية الواحدة، وهو بمثابة تحدٍ لكل الوسائل الاعتراضية المعروفة في أيامنا هذه، وقد يستمر ذلك لوقت طويل.

يمكن إطلاق الصواريخ من فوق منصة أرضية، بحرية وجوية. بينما يُحدّد الهدف وفقاً للمنصة المستخدمة ولأبعادها. إذا هناك أنواع متعددة من الصواريخ، أرض - أرض، جو - أرض، بحر - جو... إضافة إلى ذلك، فالصواريخ المسماة أرض - أرض تكون إما ثابتة في مكانها (وتُسمى الصومعة) أو متحركة (على شاحنات مجهزة بناقل ناصية - قاذفة). التقنيات المستخدمة في صناعة الصواريخ أخذت وقتاً طويلاً لكي تتطور وتنتشر في العالم. ومع أن نظام التحكم بتكنولوجيا الصواريخ (RCTM) يهدف إلى الحد من تصدير هذه الأخيرة، إلا أن هذه الاتفاقية التي لا تضم سوى البلدان الغربية التي تمتلك التكنولوجيا العالية والمتقدمة فقط لا تكفي للحد من انتشار الصواريخ الباليستية من الجيل الأول.

هذه التقنيات هي المنافس الأقوى لسلاح الطيران (جو- بحر) التقليدي، كما أنها منافس لسلاح الجو، وعلى الرغم من الإزدراء الذي قوبلت به هذه الصواريخ لفترة طويلة من الوقت بسبب النقص في الدقة المطلوبة وبسبب سعرها المرتفع، يبدو أنها حققت اليوم تحسناً في الدقة المطلوبة، وذلك يعود إلى الدليل البينجمي (بين النجوم) ونظام تحديد المواقع العالمي (GPS). وهكذا رأينا أن سعر هذه الصواريخ قد انخفض بشكل كبير عندما تم إنتاجها وتصديرها بكميات كبيرة. تخيل المهندسون وجود منصات بحرية قادرة على قذف المئات من الصواريخ باتجاه أعماق أرض العدو وبعيدا من صواريخه، وهذا التصور دام مدة ثلاثين سنة. هناك ميزة إيجابية أخرى لهذه الصواريخ ألا وهي الصعوبة الفائقة في اعتراضها، وهذه



مشكلة تكاد تصبح واحدة من مشاغل التقنية الاستراتيجية الأساسية. مع الأسف، إن تكاثر مثل هذه الأنظمة يشكل، إذا، واحداً من محركات سباق التسلح الأساسية في القرن الحادي

العشرين.  تمثيل لنظام المعلومات الأوروبي المستقبلي للملاحة العالمية غاليليو (Galileo). هذا النظام يُفترض أن ينافس نظام تعقب المواقع الأمريكي (GPS). وبعد أن حُدّد موعد إطلاقه في عام 2008، صادفته بعض العوائق، لذا فإن دخوله فعلياً إلى المرحلة العملية يجب أن يتم في عام 2015.

نظام تحديد المواقع العالمي وغاليليو

إن نظام تعقب المواقع العالمي (GPS) مؤلف من كوكبة من الأقمار الاصطناعية الصغيرة، التي تؤمن الاتصال بين مواقع الأشخاص أو الأشياء التي تتحرك على سطح الأرض. إذا وضعنا جانباً نظام «غلوناس السوفياتي»، تبقى الولايات المتحدة الدولة الوحيدة التي طورت هذه التكنولوجيا لأهداف عسكرية. مهما يكن الأمر، فنظام التعقب هو قبل كل شيء أداة موضوعة في خدمة مستخدميه المدنيين الذين بإمكانهم تلقي اتصالات يحدد موقعها وهذا كاف لتلبية حاجاتهم. يمكننا القول بأن الولايات المتحدة هي المسيطرة على هذا النظام وبإمكانها منع وصوله إلى العالم بمن فيهم حلفاؤها في حال حصول أزمة أو حرب. أراد الاتحاد الأوروبي وضع حد لهذا الاحتكار التجاري، وذلك عن طريق إطلاق برنامج غاليليو.

غاليليو هو نظام ملاحية يعتمد على الأقمار الصناعية مواز لنظام تعقب الموقع الأمريكي، ويفترض بدء العمل به في 2015 والذي يعد مجموعة من 30 قمراً صناعياً. وهو في الأساس يخص أعضاء الاتحاد الأوروبي، فضلاً عن النروج وسويسرا، ويستفيد من دعم مادي وتقني من الصين. وسيوفر هذا النظام دقة أكبر في تحديد المواقع من نظام تعقب المواقع الأميركي.

هذا الأمر يطرح مشكلة شديدة الحساسية المتعلقة بتطور الدفاعات المضادة للصواريخ. ظهرت المشكلة منذ الحرب العالمية الثانية، عندما بدأ البحث عن سبل لإيقاف القنابل التي تقذفها الطائرات الحربية V1 وV2. وفي عام 1957 أطلقت البرامج الأميركية الأولى (Nike - Zeus ثم Safeguard). النتائج كانت ضعيفة بحيث إن هذا الخيار لم يعد يتلقى سوى التمويل المخصص للأبحاث المحدودة، لكن من دون أن يتم إهماله تماماً. إلا أن الولايات المتحدة لم تستسلم... .

تبين أن الصواريخ يمكنها أن تتولى مهمة الاعتراض بطريقتين. الأولى باستخدام التفجير إما عبر التفجير التقليدي، أو بواسطة عبوة نووية صغيرة في أعالي الجو (هذا هو الأسلوب الذي اتبعه السوفيات في الموقع الدفاعي الوحيد عن موسكو).

الأسلوب الثاني يعتمد على التأثير أو الصدمة الحركية. هذا التصويب الذي يتم بين جهازين ذوي سرعة عالية جداً (بمقدار يتراوح ما بين 5 و10 كلم في الثانية) شكل تحدياً تكنولوجياً هائلاً. من أجل الوصول إليه، يجب إيجاد أسلوب متكامل يدمج بين عدة طبقات من الكواشف المنتشرة بين الرادارات على الأرض والأقمار الاصطناعية التي تدور في مدار ثابت بالنسبة للأرض. إن عملية اعتراض عشرات الصواريخ - التي قد تستخدم أيضاً كقطع - هي على درجة من التعقيد، ويقضي الحل النظري باستخدام نظام يدمج الاعتراضات المتعددة في الفضاء وعلى الأرض في آن واحد، ويتدخل في المراحل الثلاث لإطلاق الصاروخ: الانطلاق، المسار، ثم السقوط نحو الهدف. أما الحل الأفضل فيقضي بالاعتراض في مرحلة الدفع الأولى، لكن يجب التمكن من تصويب سلاح قريب نسبياً على المهاجم.

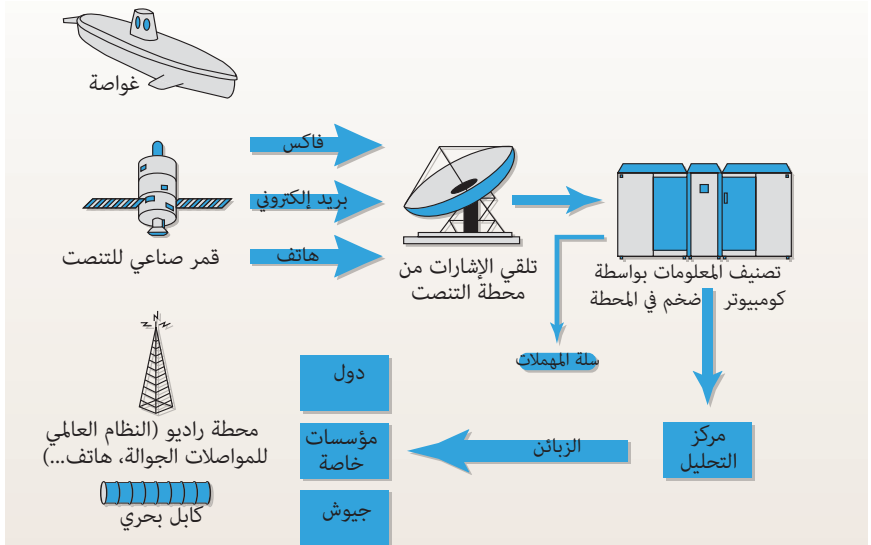
هذه هي الهندسة الحقيقية التي اعتمدت عليها مبادرة الدفاع الاستراتيجي (IDS) التي أطلقها رونالد ريغان عام 1983. إن وضع هذه المبادرة في إطارها العملي يبعد مسافة سنوات ضوئية عن القدرات الموجودة فعلياً على الأرض، وقد ظل هذا المشروع ضمن إطار المختبرات ومكاتب الدراسات. لكن الأبحاث مازالت جارية منذ ذلك الحين، وفي النهاية هذا هو المهم، فإن سرعة تقدم الكهربية - المعلوماتية تعد بأفاق واسعة مهمة في هذا المجال.

معطيات أساسية للجيوستراتيجية المعاصرة

على الرغم من التخلي عن هذه المشاريع الطموحة، فإن الإدارة والكونغرس في الولايات المتحدة الأميركية أرادا منذ العام 1990، تطوير منظومة دفاعية مضادة للصواريخ وتوسيعها من أجل حماية المجموعات المكلفة بالقيام بعمليات في الخارج، وتلك التي تتولى حماية أراضي الوطن في آن واحد. هذه المرة لم يكن الأمر مجرد اعتراض لبعض الصواريخ البسيطة بل لعشرات من الصواريخ القوية والمتطورة التي أطلقت ضد الولايات المتحدة من الدول الإرهابية (جري

الحديث في ذلك الوقت عن كوريا الشمالية، إلا أن إيران والعراق كانتا تحتلان مركزاً متقدماً بين «الدول المارقة». ولكن، تكلفة المشروع تبدو باهظة جداً، ولا يمكن تحقيقه بطريقة فعالة. إلا أن المنظومة الدفاعية المضادة للصواريخ تسعى جاهدة لكي تصبح شعاراً للإرادة الأميركية العليا في عملية إعادة التوزيع العامة للقوة ولتحديد التراتبية التكنولوجية المحتملة. هذا المنحى في التفكير زاد من قلق حلفاء الولايات المتحدة كما زاد من عدد خصومها المحتملين. مهما يكن الأمر، إن إنجاز درع حماية من الصواريخ يقتضي مجهوداً كبيراً ومستمرًا من الولايات المتحدة، على أن يستمر هذا المجهود بغض النظر عن الأحداث الجارية. كما يقتضي أن يدرج في خطط الصناعة - العسكرية، ولا يمكنه أن يختفي إلا مع هذه الأخيرة.

الصدمة الكبيرة التي سببها تدمير المركز التجاري العالمي في وسط نيويورك في 11 أيلول/ سبتمبر من العام 2001 لم تضيف شيئاً إلى هذا الموضوع. على النقيض من ذلك، وُضع في خانة المنظور على المدى الطويل، فهذه الكارثة أعطت تفسيراً إضافياً لتطوير نظم الحماية ضد الصواريخ. ويبدو أن هذه الملحمة التكنولوجية - الاستراتيجية الغربية سوف تستمر خلال السنوات العشر المقبلة.



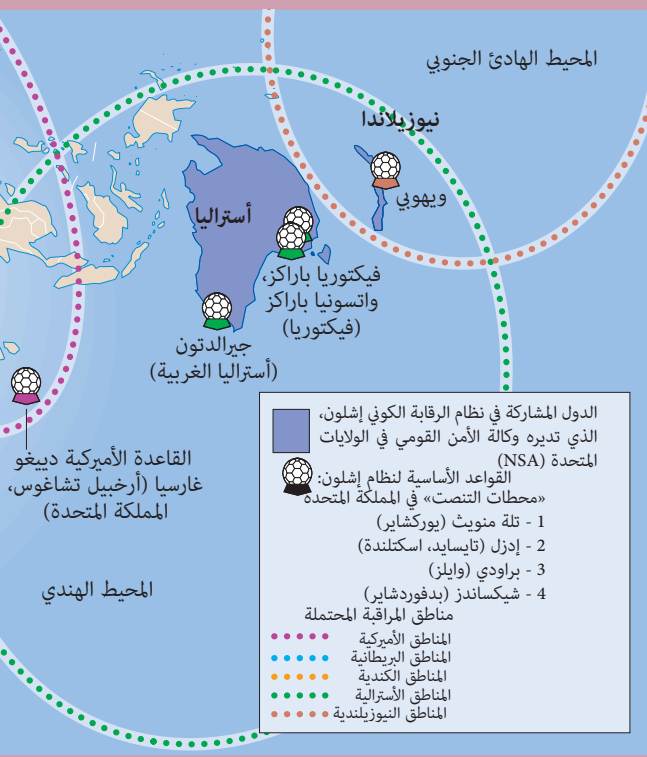
الحلقة النظرية للاعتراض والتعامل التقني مع المعلومات الراديو - كهربائية أو الرقمية، أيًا يكن من يدعمها.

الحرب الإلكترونية: سلام القرن الحادي والعشرين

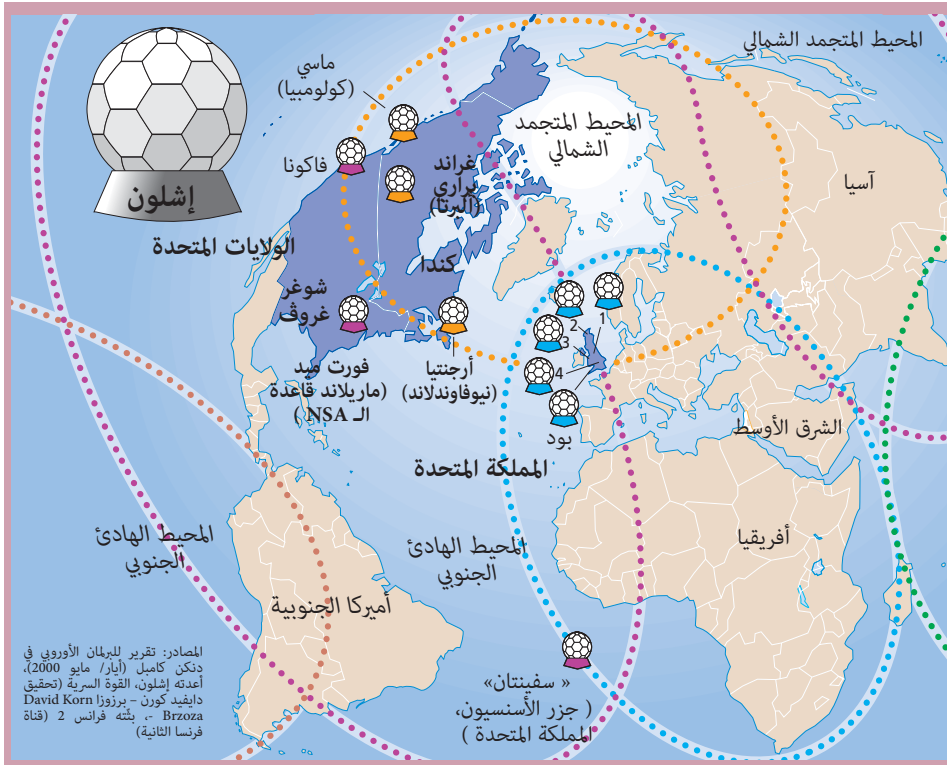
الحرب الإلكترونية هي نظام حديث في الفن العسكري. في الأساس، توسع هذا النظام كأنه موكب احتفالي بتكنولوجيا الرادارات: التلغراف دون أسلاك (TSF) في العام 1896 والرادار في العام 1935. في عام 1914، تمكنت محطة TSF في برج إيفل في باريس من الاستماع

شبكة إشلون

هي شبكة تنصت إلكترونية تم تطويرها في العام 1948 من وكالة الأمن الوطني الأمريكية (مستهدفة الإتحاد السوفياتي). وقد انضمت إليها على الفور المملكة المتحدة، كندا، أستراليا، ونيوزيلندا (ثم انضمت إليها في ما بعد وبشكل جزئي ألمانيا، تركيا، الدانمارك والنرويج). شبكة إشلون تتعامل يوميا مع قرابة 3 مليارات معلومة (تردها من طريق الاتصالات الهاتفية أو بوساطة البث الراديوكهربائي). تكمن المشكلة الأساسية في فرز المعلومات ذات الصلة، وهذا الأمر متصل بدوره باختيار الأهداف. بعد انتهاء الحرب الباردة، أعيد توجيه الشبكة نحو المعلومات الاقتصادية (قدر البعض أنها تفضل معرفة معلومات عن المشاريع الأجلو ساكسونية). لكن هذا الاختيار قد استبعد بقوة بسبب الكارثة التي حصلت في 11 أيلول/ سبتمبر، إذ تم توجيه الشبكة لصالح الحرب ضد الإرهاب.



إلى برامج راديو العدو مساهمة بذلك في الانتصار في معركة البارن. إن ضرورة الحصول على المعلومات جعلت من الإلكترومغناطيسية ميدان معارك جديدة أفسح المجال لولادة الحرب الإلكترونية، الأمر الذي دفع الجميع إلى البحث المستمر في محاولة للسيطرة على المجال الإلكترومغناطيسي، ومنع العدو في الوقت نفسه من استخدامه. من يتمكن من التفوق في هذا الفضاء الافتراضي يتمتع إذا سبق على الآخرين. بالنظر إلى هذا الهدف، فإن وسائل الحرب الإلكترونية تقوم بثلاث مهمات: توفير المعلومات، الحماية الذاتية، والهجوم الإلكتروني. في إطار جمع المعلومات، تتم الإشارة إلى العمل الإلكتروني بالكلمة SIGINT (كإشارة إلى الذكاء) بالتعبير الأجلو ساكسوني، أو بمعلومات مصدرها كهرومغناطيسي. تظهر كلمة SIGINT عبر أجهزة الاستشعار السلبية للتدخل وإشارات المواقع (الراديو والرادار) ونقلها على الرادار. هذه الأجهزة اللاقطة ركزت في محطات أرضية، وفي أبنية مخصصة للحرب، وفي الطائرات، والطائرات من دون طيار، وفي الأقمار الاصطناعية. تشكل شبكة إشلون (Echelon) انبثاقا لهذا البعد من الحرب الإلكترونية، وطريقة تحرك لا يمكن لبلد مثل فرنسا أن يتجاهلها، حيث وضعت خططها للمستقبل بصورة الأقمار الصناعية Essaim. أما SIGINT فيشير أيضا إلى عمل الطائرات المتخصصة: ريفيه جوان (Rivet Joint) أو أريس (Aries) الأمريكيتين، غابرييل (Gabriel) الفرنسية، ونيمرود (Nimrod) البريطانية، التي تجوب الفضاء الجوي لتجمع المعلومات للسلطات العليا وللجيوش حول نوايا الخصم المحتمل.



ثانياً، للحرب الإلكترونية وظيفة هي حماية المنصة من الأخطار التي تتهددها في ساحة المعركة، لا سيما الصواريخ. يتم التجهيز لهذه الحرب عن طريق التزود بالأنظمة التي تجمع ما بين أجهزة الإنذار والتدابير الاحترازية الفائقة الدقة.

بالنظر إلى متطلبات الالتزام العسكري - والحد من الخسارة وارتفاع أسعار المواد - نجد أن هذه الأنظمة موجودة على كافة المنصات. في شقها الهجومي، تهدف الحرب الإلكترونية إلى منع وصول المعلومات إلى الخصم عن طريق التدخل لتعطيل اتصالاته وأجهزة الرادار لديه. الولايات المتحدة هي «السيد المسيطر» في هذا النظام بفضل طائرات براولر. أما الإنترنت فيشكل التحدي الجديد الذي بدأ منذ وقت قريب بدفع الجهود نحو الاهتمام بالحرب المعلوماتية لتعزيز الحرب الإلكترونية. بالاقتران مع RMA (بالنظر إلى المدى البعيد) أعلنت الحرب الإلكترونية على أنها حدث رئيسي للعمليات التي تتم في هذا القرن. إن الحرب الإلكترونية التي أصبحت جزءاً من حرب المعلومات هي محدد أساسي في العمليات العسكرية. كما أنها تساعد أيضاً في تحديد سلم التراتبية بين البلدان المتقدمة والمسيطرة على التكنولوجيا وعلى استخدامها، وتلك المستبعدة من هذا المجال، إما طوعاً أو بسبب عدم امتلاكها للوسائل التي تؤهلها لذلك. هذا هو الدرس الذي يجب استخلاصه من الصراع في الشرق الأوسط أو البلقان. الحرب الإلكترونية هي في تطور دائم ومستمر، وتستدعي الاستعانة بالتكنولوجيا العالية المستوى. باستطاعتنا أن نفهم هنا لماذا تركز لها الدول الغربية ودولة جنوب أفريقيا وإسرائيل وروسيا مبالغ ضخمة.

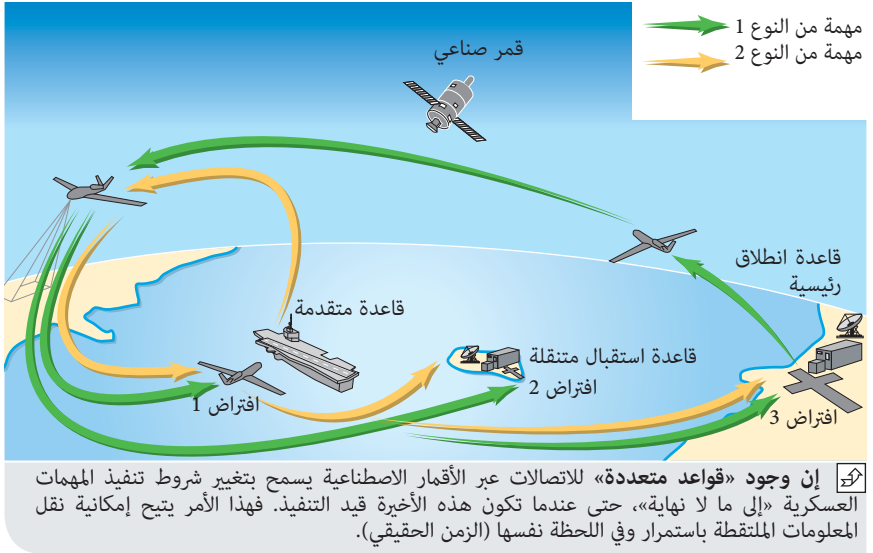
الثورة في العمليات العسكرية

منذ العام 1990 شكلت الثورة في العمليات العسكرية (RMA) تياراً فكرياً عمل جاهداً لتحريك الإنسان والتكنولوجيا في إطار مرحلة فن الإدارة الحديث المواكب لمجال المعلومات. ومهما كان هامش الأسطورة كبيراً، فإن الولايات المتحدة تعمل باتجاه تعزيز تفوقها في مواجهة خصومها المحتملين وتفوقها على قدرات حلفائها.

منذ دخول المدفعية في مجال الحروب، وصولاً إلى استخدام السلاح النووي، مروراً بالحرب الخاطفة (حرب 1940)، عرف فن الحرب عدة ثورات. لكن استخدام عبارة قوية كهذه لا بد أن يترافق مع شروط محددة: من الممكن في وقت ما، تطوير فن تشغيل الآلة الحربية من خلال وضع اللمسات الأخيرة على التقنيات الجديدة، بغية إيجاد تفوق محدد على أجهزة القوة وعلى مفاهيم استخدامها من الخصم. منذ حرب الخليج عام (1991)، وقياساً على التدخل العسكري في البلقان وأفغانستان، ادعت الولايات المتحدة الأميركية أنها تقوم بثورة من هذا النوع. فقد اعتمدت، إضافة إلى الأسلحة المتطورة، على مبدأ تضمين أنظمة إعطاء الأوامر تقنية معالجة المعلومات عبر أنظمة إلكترونية - معلوماتية قوتها وسرعتها في تطور دائم. ويساهم هذا التضمين في تقوية التواصل بين الجيوش، وفي دمج أماكن تواجدها (أرض - بحر - جو -



✍ آليات أميركية في العراق، آذار/مارس 2003. المعدات العسكرية التي استخدمت في العراق تشهد على تقدم الولايات المتحدة الأميركية في مجال حوسبة المعطيات ومعالجتها. نتحدث هنا عن ثورة رقمية في المجال العسكري.



فضاء)، كما يساهم في الربط ما بين أنظمة الاتصالات. إذًا، أصبح الخصم تحت المراقبة السمعية والبصرية في مجمل وجوده وتحركاته. أصبحت دائرة قراراته صغيرة، لأنه محاصر بأسلحة فائقة الدقة (صواريخ عابرة للبحار، واستدلال بواسطة اللايزر) تعمل عن بُعد لتوفير الحماية لأصحابها. أصبح بالإمكان توقع ردات الفعل في وقت مبكر، ما يجعل قدرتها على المقاومة غير مجدية. وهكذا فإن الغموض الذي كان يحيط بظروف الحرب قد اختفى، كما انتهى زمن الحروب الطويلة والخطيرة.

مخطط للمستقبل

هذا المخطط المتكامل ما زال بعيداً من الواقع. مع أن التقدم الذي أحرزته الولايات المتحدة خلال السنوات العشر الأخيرة (1991، حرب الخليج؛ 2001، الهجوم على أفغانستان) يستحق أن يؤخذ بعين الاعتبار. ولئن أصبح بإمكان القوى العسكرية أن تتحرك من دون حواجز سياسية، فإن القدرة على الحصول على المعلومات، والسرعة في انتقالها بين مختلف الأطراف (الحي العام في تامبا - فلوريدا، وخبراء المتفجرات في المحيط الهندي، والطائرات دون طيار، والقوى الخاصة وسط أرض العدو)، وتحديد الضربات تشكل مآثر تقنية لم تكن تخطر ببال أحد في سبعينيات القرن العشرين، عندما بدأت تلوح ملامح الـ RMA. العملية التي قامت بها قوى حلف شمال الأطلسي (NATO) في كوسوفو، في عام 1999، والتي غالباً ما يتم ذكرها كمثال. في الواقع، هي عملية شبه إنسانية تتطلب الحماية الشعبية. لقد انخرطت ضمن حلف شمال الأطلسي، وأصبحت كل مهمة هدفاً لنقاش سياسي حقيقي بين 16 بلداً. هذا ما يُعرف بـ «الأضرار الجانبية» الشهيرة، التي بقيت على مستوى ضعيف جداً.


نوع جديد من المرتزقة

لقوى الأمم المتحدة التي تفتقد إلى التجهيز، والتي تتم قيادتها أحيانا بطريقة خاطئة، وهي تخضع لقوانين الانخراط التي تسبب لها الشلل في مواجهة خصم يستخدم كل الحيل الممكنة من دون تردد.

شركة أوتكوم التنفيذية هي إحدى المجتمعات العسكرية الخاصة الأساسية، أنشأها إيبين پارلو عام 1989، وهو جندي قديم في جنوب أفريقيا. وقد أُلغيت عام 1999 بسبب أسلوبها المفرط في الحماية. كانت تلك الشركة تملك المروحيات القتالية، وطائرات هجوم أرضي (ميغ 23 و27) ووسائل نقل جوية للمجموعات. عام 1993، جنت هذه الشركة 30 مليون دولار سنويا في أنغولا بسبب خدمات الحماية التي قدمتها. منذ ذلك الحين رأينا شركات أخرى تتوسع مثل دينكوب (وهي شركة أميركية تابعة لقطاع الدولة وتؤمن الحماية للرئيس الأفغاني كارزاي، وارتفع رقم التكلفة عام 2002 إلى 2 مليار دولار. أما شركة بلاكووتر (Blackwater) التي أسسها إريك برينس سنة 1997، ومركزها الرئيسي كارولينا الشمالية، فقد تصدرت عناوين الأخبار في 2007 بعد وقوع مجزرة راح ضحيتها سبعة عشر مدنيا عراقيا. إن التحقيق في القضية، والذي برأ المتورطين، سلط الضوء مجددا على سوق المرتزقة: عقود لفترات قصيرة، تدريبات ضعيفة، ونقص في الاحترافية. في هذه الظروف تصبح «الهفوات» هي القاعدة.

المرتزقة هي أحد العوامل التي كانت مستخدمة قديما جدا. ليكن نهاية الحرب الباردة أظهرت وجهها جديدا للمرتزقة، أصبح مشروعا من مشاريع الرأسمالية المتقدمة القائمة على استخدام الحاسوب. إن تقليص حجم التسلح، والاستعانة بمصادر خارجية لإنجاز بعض الخدمات لا سيما اللوجستية منها (المجتمع الأميركي هالي بورتون في العراق)، وإدخال بعض مهمات الحماية المرتبطة بحماية المجموعات أو ببساطة التحكم بتصرفاتهم وسط اصدقاتهم، تفسر هذا التغيير. طلب «الحماية» هذا لم يتوقف أبدا، ما زال يتزايد، سواء أكان بهدف المقاومة ضد الإرهاب في الداخل، أم بهدف إيجاد حماية ضد المقاتلين. لقد شهدنا تطورا وتوسعا لدى مقدمي الخدمات على كافة مستويات الحماية، بحسب منطق السوق الحرة حيث يسعى الجميع للحصول على أفضل العروض... كما حصل مثلا في تشيلي، لتأمين حماية ممثل أميركا في العراق بول بريمر. نمو هذه المرتزقة الجديدة يتوافق مع ازدياد استخدام القوى الخاصة (نخبة الكومندوس)، إذ تتحول العناصر غالبا نحو «القطاع الخاص»، حيث الرواتب أعلى من رواتب الجيش النظامي... ينطبق ذلك أيضا على بيع الأسلحة الثقيلة، حيث نجد عسكريين ومعدات قادمة من الاتحاد السوفياتي السابق (مرتزقة أوكرانيون، ميغ 27، صواريخ أرض - جو SA 7 تعادل صاروخ ستينغر). هذه الشروط الجديدة تمثل أيضا تحديا حقيقيا



مرتزقة 
يؤمنون حماية
ممثلي الولايات
المتحدة في
العراق حتى
صيف العام
2004. بول
بريمر (الثاني من
اليمن).



متابعة العمليات الجوية من غرفة المراقبة والتحكم على متن سفينة حربية أمريكية 2001. إدارة المعلومات أصبحت بُعداً أساسياً للحرب المتطورة.

مع هذه الضربات الجوية المتعددة، ومع الاستمرار في اختبار قدراتها، انخرطت الولايات المتحدة في الحرب ضد العراق في العام 2003. حرب ثقيلة (بساط من القنابل) وضربات محددة، وسرعة ملحوظة في اتخاذ القرار.

كان لهذا التغيير نتائج عديدة على الحلفاء الغربيين: لتوجيه الحرب بحسب معيارها الخاص، طلبت الولايات المتحدة من حلفائها استخدام معدات معادلة للمعدات الأمريكية (لو كان ممكناً شراء معدات من شركات أميركية) وإلا، فالثورة الحاصلة في الأعمال العسكرية يمكنها أن تصل إلى حد التخلي عن الحلفاء.

الفضاء الافتراضي ونشوء الاستراتيجيات الافتراضية

منذ اختراع الإنترنت ووضع الشبكة العنكبوتية في الاستخدام، لم يتوقف التطور في مجال المعلوماتية. ويبقى الهدف الأساسي لها هو التبادل السريع للمعارف العلمية. إلا أن هذا الهدف تم تخطيه عبر شبكات التواصل الاجتماعي: فايسبوك، تويتر، إضافة إلى «ويب 2.0»، وهي تضطلع اليوم بدور هام في نمو حركات الاحتجاج السياسي (الربيع العربي). هذا القطاع المبتكر بكليته من الإنسان، يندرج ضمن منطق عصر المعلوماتية والتواصل الذي دخلته البشرية. منذ ذلك الحين، تطورت قطاعات الاقتصاد والتجارة والصفقات المالية على نحو متسارع. ويتحدد الفضاء الافتراضي تلقائياً بمدى الازدهار الذي تحققه البشرية. لكن يجب ألا ننسى الوجه الآخر للعملية: الأمن. فالنشاطات الإجرامية تطورت أيضاً: عمليات النصب والاحتيال، شبكات الدعارة، الكازينوات غير المرخصة، التدمير من أجل متعة التدمير فقط. تضاعفت أعداد هؤلاء القراصنة، مستفيدين من عدم إمكانية انكشاف هوياتهم على خط مواز، ومنذ ما لا يزيد على العشر سنوات، أضيف بُعد آخر أكثر أهمية أيضاً. فقد استخدمت الدول الفضاء الافتراضي مسرحاً لعمليات ذات غايات سياسية وعسكرية، بما في ذلك عمليات التجسس. والتي كان من ضحاياها إستونيا خلال الأزمة الدبلوماسية مع روسيا (2007)، وجورجيا أثناء خلافها مع روسيا بشأن أوسيتيا الجنوبية (2008)، وإيران التي أصيبت منشآتها النووية بفيروس STUXNET عام 2010.

تجري الآلاف من مثل هذه العمليات يومياً في الخفاء أيضاً. وتختلف الأسلحة ووسائل التدخل المستخدمة، مستغلة نقاط الضعف الكثيرة الموجودة. وتشكل الفيروسات مستوى جديداً من التعقيد المتزايد الذي يستعصي على الهوية، حتى الموهوبين منهم. ومع الوقت طوّرت وسائل دفاعية واستراتيجيات جديدة لمواجهة تلك المخاطر والحماية منها، لكنها ما زالت من دون ضوابط أو مرجعية قانونية واضحة.



إنشاء سلام دائم هو على الأقل أصعب من أن تربح الحرب. أفضل أنواع السلام هو الذي يجعل أسباب الاشتباك تختفي، كما حصل مثلاً في عملية البناء الأوروبي التي وضعت نهاية لمئات السنين من العنف في القارة القديمة. التفكير في السلام هو تمرين معقد وغير معروف، في حين أن معاهد الحرب درست ومنذ قرون مظاهر الاستراتيجيات كافة. في هذا الصدد تؤدي المنظمات غير الحكومية (NGO) دوراً أساسياً منذ ذلك الحين. تفكيرهم يجب أن يمتد إلى عمل التنظيمات الدولية المعروفة، وفي طليعتها الأمم المتحدة (UN) وتنظيماتها المتخصصة. ويجب على الدول الخاصة، الدول القوية أن تتقبل دور السلطة. وفي هذا الصدد، تضطلع وسائل الإعلام بدور كبير ومهم.

في بريزرن، ألبان يستقبلون جنوداً ألمان من القوة الدولية في كوسوفو، حزيران 1999.

صانعو السلام



نماذج السلام: ثابت، غير ثابت، واقعي وطوباوي

إن قيام سلام دائم وعادل بين دولتين عملية شائكة تخضع للأخطار والظروف. وتتناسب مع الانتفاء التام لأسباب الاشتباك، إذ كل طرف يستنتج أن لا فائدة من استمرار حالة الحرب.

في سياق تاريخي، تنوعت حالات السلام الدائم والمستمر التي حصلت، وذلك بحسب الأزمنة والمناطق. شهدنا عدة نماذج للسلام. السلام ضمن إمبراطورية، نأخذ مثالا على ذلك «باكس رومانا» من القرن الأول وحتى القرن الرابع: وسط جبهات إمبراطوريتها، فرضت روما إرادتها ونالت مشاركة الشعوب الخاضعة لنظام ترابطي، وكانت هي الملهمة والمسيطرة. في القرن الحادي والعشرين يمكن أن تضطلع الولايات المتحدة بالدور نفسه بفضل قوتها. لكن مشكلة حساسة برزت هنا وهي مشكلة الموافقة الدائمة للبلدان المندمجة، إضافة إلى مشكلة المناطق التي تمتد فوقها الإمبراطورية، إذ بدءا من هذا التوسع، ومن ما وراء الحدود، قد يتشكل عناصر غير منتسبين مخربين محتملين. هؤلاء هم من كانت تطلق عليهم في ما مضى تسمية «البرابرة». إنه السلام الذي يتحقق عن طريق توازن القوى، ومن خلال «أنظمة» تحالف سريعة الزوال، لكنه قادر على مواجهة الحركات التخريبية.

هذا ما كانت عليه الحال في أوروبا منذ حوالي النصف قرن، من الحلف المقدس (روسيا، النمسا، بروسيا) الذي تأسس عام 1815، حتى الحلف الأطلسي اليوم (NATO) الذي تأسس عام 1949. هذا السلام يعتمد على شبكة معاهدات. غير أن معاهدات السلام تلك واتفاقيات أخرى ضد العنف لا قيمة لها إلا إذا ما قامت الأطراف باحترام عهدها. في العام 1941 خاض ستالين التجربة القاسية المتعلقة بإخلاص هتلر. التزامات من هذا النوع ظلت في كل الأوقات، موضوع تحدٍ بينهما. كما كان يُحتفل في ما مضى بعملية تبادل الرهائن، خلال حكم الملكيات وتجري التحالفات عن طريق الزواج، إلا أن فعاليتها تبقى تابعة للتقدير السياسي

الصين - اليابان:

مسألة شائكة

في العام 1945 استسلمت اليابان أمام الولايات المتحدة الأمريكية. وقد كان بإمكان هذه الأخيرة أن تضطلع بدور الوسيط الإيجابي لتعزيز إحلال سلام دائم مع الصين. لكن وصول الشيوعيين إلى الحكم في بكين في تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1949، دفع الأميركيين لجعل اليابان قاعدة متقدمة، من ضمن استراتيجية محاربة الشيوعية، في الوقت الذي اندلعت فيه الحرب في كوريا (1950 - 1953). بعد ذلك، أصبح كل حوار مستحيلا، لأن عملية جعل اليابان بلدا ديمقراطيا اعتبرت معادية للشيوعية في الصين، التي تحمل شعورا عداثيا عميقا ضد اليابان. وهكذا أضيفت دوافع جديدة للعدائية والاستياء السابقين. ومنذ ذلك الحين، ومع النمو الاقتصادي في الصين، تغيرت المعطيات.



✍ توقيع المعاهدة الألمانية - السوفياتية في آب/ أغسطس من العام 1939. اعتقد ستالين، بعد سنتين، أن هذه المعاهدة غير الطبيعية سوف تحمي الاتحاد السوفياتي من هجوم القوات الألمانية.

وللفائدة المرجوة من المحافظة عليها أو الإخلال بها. المعاهدة ليست مجرد قطعة من الورق كما يقول المتهمون على العلوم السياسية، كما أن قيمتها ليست ثابتة: قيمتها تبقى قيد البحث.

– السلام الذي يتحقق بعد الإنهاك المتبادل بين الخصمين. هذا السلام يقود إلى توقف الحرب لبعض الوقت، لكنه وقت للاستتار، والتفكير في الفائدة التي يمكن جنيها إذا ما استكمل العداء أو تم تعليق الكارثة المتذبذبة، أي بين استعادة الحرب أو إحلال السلام الدائم: الحرب الفرنسية – الإنكليزية (بين عامي 1760 و1815)، والحرب بين الهند والباكستان (1947، 1971، 1999)، وبين إيران والعراق (1980 – 1988).

اقتباس

«يمكن تمثّل حالة السلام بغياب مشاريع وعمليات تكون أهدافها السياسية الرفض المطلق للأخر، ولكل ما يشكل هويته، ووجوده المادي».
(ل. بواريه، الاستراتيجية النظرية II ، ص 100 ، إيكونوميكا).

– السلام الذي يتحقق باختفاء أسباب المواجهات. وذلك يحدث بشكل جذري في حالات الإبادة (الجسدية)، كما حصل مع هنود أميركا، أو السياسية مع زوال الإتحاد السوفياتي



✍️ توقيع معاهدة التعاون الفرنسية - الألمانية، والتي تسمى معاهدة الإليزيه، في كانون الثاني/ يناير من العام 1963. وضع هذا النص نهاية لـ 75 عاماً من المنافسة القاتلة بين البلدين، كما أرسى واحدة من قواعد عملية بناء أوروبا.

عام 1991). كما يمكن أن يحصل مع سحق قوى العدو، وسحق إرادتها في المقاومة، وصولاً إلى استسلامها من دون شروط. كما يحصل أيضاً في حالة اللجوء إلى أعمال الإرهاب، التي تطال الشعوب المدنية: حرب الشيشان عامي 1966 و1999، الحملات التي شنتها القوات التركية ضد الحزب الشيوعي الكرديستاني (PKK) في الجنوب الشرقي من تركيا. ويطلق على هذه الحملات أحياناً اسم حملات «استعادة الهدوء»، هذه الحملات التي تهدف إلى العقاب تستثنى من فترات السلام الدائم، هذا السلام غير الموجود سوى في المقابر، كما وصفه بطريقة ساخرة الفيلسوف إيمانويل كانط.

السلام الذي يتجذر بالاعتماد المتبادل، حيث تختفي دوافع وقضايا المواجهات عن طريق الاتفاق المشترك. وهذا ما حصل في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، تصور جان مونييه قيام الجمعية الأوروبية للفحم والفلوان (CEC) ثم السوق المشتركة (عام 1957)، وهي سلف الاتحاد الأوروبي (الحالي) في تصوره لقيام جمعية تتجاوز في عمقها المصالح الفرنسية - البلجيكية - الألمانية. فبعد ثلاث حروب متتالية بين فرنسا وألمانيا، جرى البحث لإيجاد حالة من الاعتماد المتبادل حيث كل ضربة يقوم بها أحد الطرفين على الآخر تترد أوتوماتيكياً لتشكل ضربة لمصالح هذا الطرف نفسه.

فرنسا - ألمانيا: علاقة صيغت بهدوء

خلال عشر سنوات، من 1945 إلى 1955، عندما كانت فرنسا منهكة وألمانيا منقسمة، قامت الدولتان بوضع أسس السلام الدائم والنهائي. وقد تبين أن القلق الذي دار حول موقف الجنرال ديغول لا أساس له من الصحة. فالتفاهم الاستثنائي مع رئيس مجلس الوزراء كونراد أديناور (Konrad Adenauer) سمح بتوقيع معاهدة الإليزيه عام 1963. وهكذا، تعمقت العلاقة الفرنسية الألمانية باستمرار، وانتهى الأمر بإيجاد محرك ديناميكي لقيام الاتحاد الأوروبي.

التفكير بالسلام: بين الطوباوية والبراغماتية

لطالما كانت الفكرة المثالية للسلام منقسمة بين تيارين: الراديكالية الطوباوية التي تدعي إزالة كل فكرة تتعلق بالحرب واطاعة إياها في خانة «خارج القانون»، والبراغماتية التي تبحث عن وسائل منع وقوعها.

بالنسبة إلى مبدأ السلم الذي لا جدال حوله، تبقى الحرب العدو الوحيد. هذا المبدأ يدين الحرب ويحرمها رافضاً أي تبرير لها. إنها «الحرب من أجل الحرب»، كما أسماها اشتراكيو الحرب العالمية الثانية، عشية العام 1914. وأي مزاح بخصوص هذا المبدأ يغدو حجة لعدم الكمال في العلاقات الدولية ويؤدي إلى مفهوم «لنقم بالحرب».

الشريعة الوحيدة للقوى المسلحة تتحقق عندما تقدم هذه الأخيرة خدمتها للسلام. فتصبح، إذا، تحت تصرف الأمم المتحدة أي تحت لواء القبعات الزرقاء. هذا هو الموقع المبدئي لبعض الدول، كدولة كندا مثلاً أو السويد. وهذا الموقف يؤدي إلى فرض مبدأ الحياد الصارم على الأمم المتحدة، كما يؤدي إلى فرض قواعد صارمة على استخدام القوة واقتصارها على عدم التدخل. وفي العام 1995، قدم ممثل اليابان في الأمم المتحدة في البوسنة نموذجاً عن التأثير الكارثي للتطبيق الجامد لهذه المبادئ في حالات الطوارئ القصوى.

إذا كان من المهم دون شك تبني فكرة عدم شرعية الحرب كوسيلة للتحدث عن السياسة، فإن القانون بحاجة إلى القوة عندما يتعرض للخرق. كما أن الحكومات مجبرة على تأمين الحماية للمواطنين: هو مبدأ الدفاع المشروع والمعروف في ميثاق الأمم المتحدة.

كما أنه على الدول، في أي حال من الأحوال، تأمين قوى للأمم المتحدة مع الاحتفاظ بالقدرة للقيام بالأعمال العسكرية خارج إطارها. لنأخذ نقطة انطلاق مهمات بيترسبورغ المعروفة من الاتحاد الغربي الأوروبي في حزيران/ يونيو من العام 1992، بعد مرور وقت قصير على توقيع معاهدة ماستريخت، انخرط الاتحاد الأوروبي في هذا المسار، معلناً مجموعة من المهمات التي عرفت بأن أهدافها هي: مهمات إنسانية، دعم السلام، المساعدة على إحلال السلام. منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ولا سيما بعد نهاية الحرب الباردة، بدأنا نلاحظ توسع النموذج الأوروبي الذي يعمل على تقليص أسباب المواجهات. وبينما تمكنت ألمانيا الموحدة من تنظيم الدعاوى القضائية المتعلقة بالمسألة البولونية القديمة وتلك المتعلقة بجبل Sudetes (مع جمهورية تشيكيا)، فإن وضع «جدول الاستقرار» عام 1994 توصل إلى ضبط الفروقات بين هنغاريا، رومانيا وجمهورية تشيكيا بضغط من فرنسا وألمانيا. يضاف إلى ذلك مسألة «صناعة السلام» عبر النشاطات المدنية - العسكرية. وقد ساهمت القوات المسلحة بالمحافظة على الاستقرار، عبر حماية أعمال إعادة البناء، مساهمة بذلك في استعادة الازدهار، التي خدمت تحت مظلتها أسباب التوتر. هذه هي الاستراتيجية التي نشطت مع التقدم الواقعي الذي أحرز في البلقان (البوسنة وكوسوفو). وهذا ما عجزت الأطراف عن تحقيقه في العراق منذ صيف العام 2003.

هذه الأعمال تُظهر وبشكل محسوس، أنه بهدف لجم الحرب والحد تدريجياً من استخداماتها، يجب توسيع استخدام استراتيجيات السلام. بالتساوي مع السياسة الواقعية، يمكننا التحدث عن «السلام الحقيقي» للإشارة إلى المشاريع المهمة بإقامة سلام دائم خطوة خطوة، ومنطقة بعد منطقة، وقطاعاً بعد قطاع (F. Géré, la Société sans la guerre, 1998). عندما نقبل بنبذ فكرة الطوباوية في مبدأ السلام العام والشامل، يصبح باستطاعتنا توسيع مقاربة واقعية بالنسبة إلى المناطق والمشكلة بحد ذاتها. من الملاحظ أن مساحات السلام هي في نمو مستمر تدعمها أعمال الحماية التي تقوم بها المنظمات في المناطق (منظمة الاتحاد الأفريقي أو ECOMOG، منظمة دعم السلام في غرب أفريقيا).



جنود نيجيريون من قوة حفظ السلام ECOMOG في سيراليون عام 1997. في هذا البلد الممزق بسبب الحرب الأهلية، تواجه القوات المكلفة من المنظمة الاقتصادية في دول غرب أفريقيا صعوبات كبيرة في تنفيذ مهمتها.

مفكرو وناشطو السلام

غالباً ما كانت الدولة هي من يتولى أمور العلاقات الإجتماعية، لذا نادراً ما يكون السلام واحداً من الأنشطة المحددة لديها، باستثناء فترات نهاية الحروب عندما يتعلق الأمر بإيجاد «مخرج» يتضمن الحد من إطالة الحرب، أكثر منه تأسيس حالة سلام دائم.

التفكير بالسلام

نحن نعلم أنه من النادر أن تبذل المؤسسات مجهوداً من أجل إجراء أبحاث تتعلق بالسلام، باستثناء بعض البلدان التي طورت بعض الدراسات في هذا المجال (Peace Research)، حيث شكلت دراسة الحروب عاملاً من عوامل نزاع فتيل التوتر. وتبقى دبلوماسية الحكومات مكيافيلية – وهذا أمر طبيعي – فالمصلحة الوطنية هي الهدف النهائي مهما كلف الأمر، سواء تحقق هذا الهدف من طريق الحرب أم من طريق السعي للسلام.



في مؤتمر باريس، في كانون الثاني/يناير 1973، صورة تجمع هنري كيسنجر ولي دوك تو (Lê Duc Tho) وهما يتصافحان. بعد تفاوضهما على إنهاء الأعمال العدائية في فيتنام. وقد نالا سوية في ما بعد جائزة نوبل للسلام.

بما يختص بالسلام، يميل الكثيرون إلى إناطته بالمنظمات الدولية، لا سيما منظمة الأمم المتحدة. بينما نجد أن التفكير والأبحاث المتعلقة بالسلام هي مبادرات فردية يقوم بها مفكرون (فلاسفة الأمم، وعلماء اليوم) و«هيئات» ذات نوايا وأهداف محددة. تشكل جائزة نوبل للسلام مكافأة لبعض هذه الجهود، إلا أنها لا تخلو أحياناً من دفع جزية الغموض الذي يحيط بها (هل كان هنري كيسنجر الذي فاز بها عام 1975 رجل سلام حقاً؟) والوقوع تحت تأثير الأوضاع القائمة في حينه.

رجال السلام: مشرعون، مهندسون وشهداء

منذ فجر الإنسانية، انقسم المدافعون عن السلام إلى مدرستين كبيرتين. الأولى تأثرت بتوماس مور (1478 - 1535) الذي يضع حقوق الدول في المقام الأول، والثانية أتبعته خط إيراسموس (1469 - 1536) الذي يطالب بالشمولية القصوى للسلام المثالي. إذا، فكرة السلام تمثل خصائص دورية:

المنظمات غير الحكومية عبر الحدود

قامت هذه المنظمات بالتدخل بشكل متزايد في ظل التباعد الحاصل بين الدول، من أجل الدفاع عن السلام بين الأفراد والمؤسسات. ويمكننا أن نذكر منها:

- غرينيبس: تأسست عام 1971، وهي منظمة تعنى بالبيئة وتعمل ضد إجراء التجارب النووية. تستخدم وسائل الإعلام بشكل ذكي، وقد ظهرت فعلياً من خلال أعمالها ضد محاولات التجارب النووية في فرنسا. والهجوم الذي تعرضت له سفينة غرينيبس «راينبو وورير»، التي هوجمت عام 1985 من قوات التدخل الخارجي الفرنسية، دعم بقوة الصورة القتالية لهذه المنظمة غير الحكومية.
- بوغواش: أسسها علماء ساهموا في إمكانية التحكم بالأسلحة النووية خلال الحرب الباردة، هذه الحركة التي تهدف إلى نزع

السلاح قدمت معلومات قيمة وفائقة الجودة عن حالة التسلح النووي، وعن أسلحة الدمار الشامل بصورة عامة. تلقت هذه المنظمة جائزة نوبل للسلام عام 1995.

- تجمع العلماء المختصين واتحاد العلماء الأميركيين: يضمن باحثين وأساتذة الجامعات الأميركية الكبرى (MIT، ستانفورد...) اضطلعت هذه المنظمات بدور هام خلال الحرب الباردة، لأنها أعطت معلومات عالية المستوى حول الأسلحة النووية والمخاطر المرتبطة بالحرب الذرية ونتائج التسلح في الفضاء.

- معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام (SIPRI). تأسس بمبادرة من الحكومة السويدية عام 1964. هذه المؤسسة المستقلة تضم باحثين من العالم أجمع، وتنتشر دليلاً سنوياً موثقاً بشكل جيد يعطي معلومات عالية المستوى في إطار من الموضوعية.



✍ **موهنداس كارامشند غاندي (1869 – 1948).** دعا إلى اللاعنف أثناء دفاعه عن استقلال الهند، وأطلق حملة مقاطعة المنتوجات الإنكليزية، واستبدالها بمنتجات محلية بل حتى تقليدية.

مسلحة ذات تدريب عال. فيما كان غاندي الذي يتمسك بالمبادئ الروحانية يجمع حوله عددا كبيرا من المناصرين، وكان بإمكانه الاستفادة من تأثير الرأي العام في ما يخص العلاقة ما بين القوي والضعيف. استراتيجية من هذا النوع تفترض استخدام وسائل الإعلام الهامة من أجل الحصول على انتشار إعلامي واسع يمكنه من ترويج المبادئ الأخلاقية الخاصة بجماعته، وبت الشك والانقسام في صفوف العدو في الوقت نفسه. وهكذا حقق غاندي هدفه وسار قدما ببلده نحو الاستقلال. لكن، في جو من العنف والتعصب الديني، مصحوب بانفصال باكستان عن الهند، ومصبوغ باغتيال غاندي.

غاندي (1869 – 1948): من أكبر الدعاة إلى مبدأ اللاعنف

كان موهنداس غاندي (الذي لُقِبَ بـ«المهاتما» أي المعلم أو المشرع) محامياً متمرساً، كرّس نفسه منذ 1915 للدفاع عن قضية استقلال الهند، رافضاً استخدام القوة، انطلاقاً من قناعاته الدينية. وقد لجأ إلى كل أساليب المقاومة من غير استخدام العنف، كاستراتيجية صادقة وحقيقية في إطار مواجهة غير متكافئة: عصيان مدني، رفض دفع الضرائب، إضراب عن الطعام في السجن... كانت بريطانيا الجهة الأقوى، فهي تمتلك قوة

حماسية وراдикаلية، ويُنظر إليها بمأسوية من خلال التناقض الحاصل في الحروب الفظيعة التي وقعت، ولم يكن بالإمكان تفاديها. تتبنى هذه النظرة إذا براغماتية الظروف، ثم تعود غالباً إلى الجذور الأساسية: السلام الدائم، من دون شروط. إن النقاش حول هذا الموضوع لن يُغلق أبداً. إلا أن هناك سؤالين يختصران الأفكار المتعلقة بالسلام.



مارتن لوثر كينغ أثناء إلقائه خطابه الشهير في 23 آب/ أغسطس من العام 1963 («عندي حلم»). دخل مؤسس مؤتمر قادة الجنوب المسيحيين في صدامات عديدة مع السلطات. التكتيك النابذ للعنف الذي اتبعه وحضور وسائل الإعلام سمحا له بالتخفيف من ردادات الفعل العنيفة حتى من رجال الشرطة.

تسعى إلى إقفال هذه الطرقات أو التحكم بها تصبح من خصومها. عملية قناة السويس في العام 1956 (التدخل العسكري الفرنسي - البريطاني الهادف إلى مواجهة قرار تأميم القناة من نظام عبد الناصر) تندرج ضمن هذا الإطار بصورته النموذجية.

أمحكوم على السلام أن يكون هشا؟

يقوم السلام على التناقض الذي يفسر هشاشته. هذه الحالة من السلام تُعتبر الحالة الطبيعية للمجتمعات. من هنا، لا وجود لصناعة السلام في مواجهة صناعة التسلح. إن تعرض السلام للاهتزاز بسبب الأزمات والحروب هو حالة عامة، وهي تنتهي برفض الأسس التي تركز عليها نفسها. وحينها يصبح السلام مؤقتا، وعشوائيا، ومحليا. وانطلاقا من هذا الأمر، تصبح استراتيجياته غير كافية لإحلاله. إن الضعف ونقص التماسك اللذين يشوبان المنظمات (الأمم المتحدة، المنظمات الدولية والمحلية) المواجهة بحفظ السلام، أمران يستدعيان الشفقة أكثر مما يثيران الانتقادات.

هل الديمقراطية هي ما يكفل السلام؟

هنالك مقولة أصبحت اليوم كلاسيكية، تقول بأن الديمقراطيين لا يبدأون بالحرب، بسبب قدرتهم على تطوير آليات ضبط لمسببات المواجهات. صحيح أن الأنظمة الدكتاتورية تعطي أولوية كبيرة لاستخدام القوة في التعامل مع المواجهات، إلا أن المشكلة لا تكمن في النظام السياسي، بل في معادلة المصالح. من المحتمل أن الديمقراطيات لا تسبب الحروب في ما بينها، لكنها تفتعلها في دول أخرى، ليس بسبب الأنظمة المستبدة والدموية، بل بسبب مصالح هذه البلدان الديمقراطية التي تسعى لتبقي الطرقات المؤدية إلى مصادر ازدهارها مفتوحة. والدول التي

شهداء السلام

للسلام شهداؤه، وهذا ما دفع المرشحين على الحروب إلى اتخاذهم أهدافا للشهادة، لا سيما أنهم مهندسو السلام: غاندي (1948)، داغ هامرشولد الأمين العام للأمم المتحدة (خلال مهماته السلمية في الكونغو - كاتانغا عام 1962) ومارتن لوثر كينغ (الشخصية الأميركية العظيمة التي حاربت التمييز العنصري، 1968) فييرا دو ميللو (ممثل هيئة الأمم المتحدة في العراق، 2003).

المنظمات المنادية بالسلام وآلياته

منذ تأسيس عصبة الأمم (SDN) عام 1920 بمبادرة من الرئيس الأميركي وودرو ويلسون، ثم منظمة الأمم المتحدة (UN) سنة 1945، أسندت الإدارة الدولية للسلام إلى منظمات عديدة، اعتماداً على عملها الدقيق ومهاراتها المتعددة والمتنوعة.

منظمة الأمم المتحدة

ينتظم المخطط العادي للعلاقات الدولية حول نموذجين من الإدارة وقوة الدول. الأول نهج كلاسيكي، يعتمد على التوازن بين القوى. والثاني يعمل على مستوى الأمن الجماعي. تتحقق سياسة التوازن أساساً بالوسائل الدبلوماسية، التي تنظم مصفوفات من التحالفات والمساعدات، وهذه الأخيرة هي حاجة ماسة خلال الحرب لتصحيح الاختلالات الحاصلة في النظام. لطالما كان الأمن الجماعي حلماً راود الفلاسفة منذ وقت طويل. إلا أنه توجب على البشر أن



جنود السلام

بين العام 1948 وبداية الـ 2011، أطلقت منظمة الأمم المتحدة 64 عملية لدعم السلام حول العالم، حيث استشهد أكثر من 2900 جندي من ذوي القبعات الزرقاء. واليوم لا يزال هناك 15 عملية جارية في هذا النطاق، جُنِّد لها 98000 عنصر، بحيث أظهر التقييم الأخير أن التكلفة السنوية لهذه العمليات تقارب الـ 87 مليار دولار. تتوزع هذه العمليات في المناطق التالية: هايتي، الصحراء الغربية، ليبيريا، ساحل العاج، جمهورية الكونغو الديمقراطية، السودان (أبييل، دارفور)، جنوب السودان، كوسوفو، قبرص، لبنان، الشرق الأوسط، سوريا، أفغانستان، الهند، باكستان، وتيمور الشرقية.

ينتظروا حلول القرن العشرين من أجل بدء المحاولات الأولى لإيجاد نظام عالمي للأمن الجماعي. تأسست عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى، إلا أنها باءت بالفشل. مستوحية مبادئها من ميثاق الأطلسي الذي أبرم عام 1941، والذي وقعه تشرشل وروزفلت، أكدت هذه العصبة على عالمية القيم الديمقراطية في سياق كلامها المعارض للأنظمة الشمولية. وهكذا ولدت منظمة الأمم المتحدة مع ميثاق سان فرانسيسكو، فيما وُضع ترتيب جيوسياسي عالمي جديد وفق مخطط فريد من نوعه، يحقق توازن القوى ما بين القطبين، ويرتكز على النمو السريع لتهدد السلاح النووي. وعلى الرغم من هذا السياق المعادي لمبدأ الأمن الجماعي، تمكنت منظمة الأمم المتحدة من الاستمرار، بل حتى الاضطلاع بدور هام في مختلف المواجهات التي تمزق العالم.

ويفضل إنهاء الاستعمار وولادة بلدان جديدة متعددة

انضمت إليها، تضم الأمم المتحدة اليوم 189 دولة عضو. تجد الأمم المتحدة نفسها على الدوام في حالة من الانسحاب بالنسبة إلى الدول التي لا يمكنها أن تحل مكانها؛ فهذه المنظمة لا تملك قوات مسلحة دائمة (القبعات الزرقاء تتحدر من كافة البلدان المشاركة في مختلف العمليات). إلا أن السياق الحالي للانفتاح الجيوستراتيجي، والذي يتميز بإدارة الأزمات بما فيها الأزمات الإنسانية، يمنحها نوعاً من الشرعية الضرورية أثناء التدخلات العسكرية. وأسوة بكل اللاعبين الاستراتيجيين، يجب على الأمم المتحدة الاعتقاد على المتغيرات الجديدة في السياسة الدولية، في كل ما يتعلق بالشؤون الأمنية كمسألة وجوب التدخل (مبدأ عدم التدخل كان مدرجاً في ميثاق منظمة الأمم من أجل حماية الدول الجديدة)، أو بشكل أكثر عمومية، وجوب الدفاع عن حقوق البشر. تعتمد هذه الآلة الهائلة على ميزانية هزيلة تقارب الـ 5,2 مليارات دولار سنوياً (مقارنة

بالموازنة السنوية للبنتاغون التي تتجاوز الـ 700 مليار دولار)، فيما يعتمد عليها عدد كبير من الهيئات، وهي تتمثل بشخص أمينها العام. الظهور الإعلامي والصورة الرمزية اللذان يتمتع بهما هذا الأخير، يمنحانه دوراً هو أقرب إلى دور البابا منه إلى دور زعيم دولة تقليدي. المبادرات التي قامت بها الأمم المتحدة تميزت بمزيج من النجاحات الحقيقية في إطار النزاعات الحادة، كما هو الحال في

اجتماع مجلس الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة في شباط / فبراير من العام 2003. بقي هذا المجلس معطلاً لوقت طويل بسبب «الفييتو الأوتوماتيكي» خلال الحرب الباردة. وقد عاد مجلس الأمن منذ ذلك الوقت ليضطلع بدور أكثر أهمية، وتحديداً قبل التدخل العسكري الأميركي في العراق.



ونموهما الاقتصادي. وأكثر من ذلك، أليس من المفترض بالإتحاد الأوروبي أن يكون الممثل عن ألمانيا وفرنسا وبريطانيا العظمى وأعضائه الآخرين؟ إلا أن الهدف الحقيقي هو عدم السماح بازدياد عدد الأعضاء الدائمين، مع بقاء مجلس الأمن مفتوحا على الحقائق العالمية الجديدة.

ما الهدف من الحفاظ على نمط مماثل؟ في الواقع، يمكن شل حركة مجلس الأمن بواسطة حق النقض (الحرب الباردة) وتطويره (كوسوفو)، والسيطرة عليه (حق النقض الذي تمارسه الولايات المتحدة في وجه كل ما يتعلق بإدانة إسرائيل)، بل حتى السخرية منه. هذا ما فعلته الحكومة الأميركية عشية اجتياح العراق بين شباط / فبراير وأذار/ مارس من العام 2004. فالنقاشات الساخنة التي جرت حول هذه المسألة في ما بين عامي 2002-2003 يمكن تفسيرها بألف طريقة. وقد تبين في ما بعد أنه يجب عدم إعطاء الحق للأقوى - حتى لو كان ديمقراطيا - بالهجوم على الأضعف، بعد أن يصوره على أنه طاغية ودموي.

وهنا بيت القصيد: هذا البناء غير المكتمل والركيك للمجلس، والذي ما زال مرتبطا بالأوضاع التي كانت سائدة عام 1945، فرض في ما بعد أسسا للشرعية الدولية، يكفلها فقط الحد الأدنى من النظام والعدالة في العالم.

يتألف مجلس الأمن من 15 عضواً: عشرة أعضاء دائمين يتغيرون كل ستة أشهر، وخمسة أعضاء دائمين يتمتع كل منهم بحق النقض «الفييتو» (الصين - الولايات المتحدة الأميركية - فرنسا - المملكة المتحدة - روسيا). نشأت هذه الهيئة إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية. هذا التفاوت في الأهمية بين الدول ترافق مع امتلاكها للأسلحة النووية بصورة حصرية. أما في ما بعد، فإن إدانة انتشار الأسلحة النووية على نطاق واسع، لم تعد تفسح المجال للدول النووية الجديدة بأن تصبح جزءاً من هذا الاتفاق.

فما هو سبب هذا الامتياز الذي أعطي للأعضاء الخمسة الدائمين العضوية، والذي سمح لهم بأن يواجهوا أو يناقضوا إرادة الهيئة الدولية المجتمعة في نيويورك؟

من المؤكد أن السبب ليس ازدهار الناتج المحلي الإجمالي: فروسيا تعرضت للانهايار، فيما تخطى الناتج المحلي الياباني منذ ثلاثين عاما النواتج في كل الدول الأخرى باستثناء الولايات المتحدة الأميركية. وعلى خطى اليابان سارت ألمانيا أيضا، حيث استطاعت أن تثبت مكانتها في مصاف الدول القوية في نهاية الحرب الباردة، وتطالب بمقعد دائم لها في مجلس الأمن. وكذلك فعلت الهند والبرازيل اللتان طرقتا هذا الباب بعد اتساع رقعتيهما

تيمور الشرقية على سبيل المثال، والإخفاقات المهيبة، لا سيما في البوسنة، والاختلال الوظيفي الحاد كما حصل عام 1994 خلال الأزمة الرواندية، أو أيضا الكوارث الدراماتيكية التي شابت المبادرات الكبرى كالجمعية التي انعقدت عام 2001 في جنوب أفريقيا لمناهضة التمييز العنصري.

المنظمات المتخصصة في إطار منظمة الأمم المتحدة

تتألف منظمة الأمم من كوكبة من المنظمات واللجان، مزودة بوسائل محدودة ولا تتمتع بأي سلطة تقريرية. الكل يحاول جاهدا معالجة الأسباب العميقة التي تعتبر محركا للمواجهات، مع تحقيق بعض النجاح والتقدم. يمكننا ذكر المؤسسات التالية:

- الفاو (FAO) (منظمة الأمم المتحدة للتغذية والزراعة، مركزها في روما) تسعى لتحسين الزراعة وتطويرها من أجل محاربة الجوع في العالم، ولطالما كانت داعمة لـ «الثورات الخضراء»، لا سيما في الهند حيث وفرت للمزارعين الأنواع المهجنة وتلك التي أدخلت عليها تعديلات جينية (OGM)، والتي أصبحت اليوم مادة للجدال المرير.

- منظمة الصحة العالمية (OMS) مركزها جنيف، انطلقت عام 1952 وبدأت بتطبيق القانون



✍ إحدى المتطوعات في الصليب الأحمر وهي تعتني بطفل في مخيم للاجئين في زائير عام 1994. ويشكل الصليب الأحمر مع الهيئة العليا للاجئين (HCR) إحدى المنظمات الأساسية التي تتولى مساعدة العديد من الضحايا المدنيين في الصراعات التي تدور في العالم.

الدولي للصحة. حملات التلقيح التي قامت بها سمحت بإيقاف انتشار أوبئة متعددة كالجدري، بل القضاء عليها. وهي تواجه مشكلة الحماية من السيدا منذ ثمانينيات القرن العشرين.

– منظمة العمل الدولي (ومركزها جنيف) تقوم بمجهود كبير لتحسين شروط العمل ومكافحة العبودية، وتحسين الأجور المتدنية لليد العاملة، ومكافحة استغلال النساء والأطفال.

– الهيئة العليا للاجئين (ومركزها جنيف)، تتولى مهمة شديدة الصعوبة هي إدارة «مخيمات اللاجئين»، التي تقام مبدئياً بصورة مؤقتة لكنها تستمر على الأرجح وتبقى لوقت طويل (هذا هو حال المخيمات الفلسطينية منذ عام 1948).

– محكمة العدل الدولية الدائمة في لاهاي، واحدة من أقدم المؤسسات الدولية: تأسست في العام 1920 على قاعدة مسودة 1907، تركت المكان لمحكمة العدل الدولية (CIJ) في العام 1945. تتألف هذه المحكمة من قضاة من كافة البلدان، وليس لديها أي وسيلة تنفيذية. الأحكام الصادرة لا قيمة لها إلا من خلال الإعلان عن عدم الشرعية التي تشوب بعض الأنشطة: كما هو الحال في الحكم الصادر في تموز/يوليو من العام 2004 بشأن الجدار العازل الذي أنشأته إسرائيل.

خريطة (على الصفحتين التاليتين)

على رغم تركيز وسائل الإعلام على النزاعات الجارية، فإن عمليات سلام عديدة، هشة أو صلبة، تبصر النور في العالم، غالباً ما تتم تحت رعاية الأمم المتحدة، والقوى الإقليمية، والولايات المتحدة، والمنظمات غير الحكومية.



غالباً ما تتعرض اللجان والمنظمات المرتبطة بالأمم المتحدة للانتقاد القاسي. فعلى سبيل المثال، نجد أن منظمة اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، ومقرها باريس) التي تتولى مهمة ترسيخ السلام من خلال نشر العلم والثقافة، وعلى الرغم من إنجازاتها المميزة، هناك من ينتقد طريقة عملها البيروقراطية لافتقارها للفعالية، وآلية العمل التي غالباً ما تكون غير منتظمة كما يجدر بها أن تكون. وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة الأميركية هي التي تدير النزاعات

السلام نقطة تحول القرن الحالي

النسخة النهائية لاتفاقية هلنسكي (CSCE): نموذج للسلام

وُقعت هذه الاتفاقية عام 1975، ثم أُلحقت بمجموعة من المؤتمرات الدبلوماسية، وهذا المستند سمح بحدوث تغيير نحو الأفضل في وسط أوروبا وفي شرقها. وقد تضمن عدة نقاط تعد مقياسا للثقة بين الدول الموقعة عليه، كالإعلان قبل 42 يوما عن كل عمل عسكري يتطلب أكثر من 1300 جندي و300 دبابة في المعركة (كإجراءات التجسس العسكري في مناطق الضغط... إلخ). أُلحقت بهذه الاتفاقية المعاهدات الأميركية السوفياتية حول نزع السلاح في أوروبا (1987 و1990)، ثم تحولت إلى منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، وقد اتخذت اتفاقية هلنسكي أهميتها تدريجيا في تلك المنطقة بفضل حلف الناتو (NATO) انطلاقا من مبدأ «الشركة من أجل السلام».

سريلانكا (21 مليون نسمة)
اتفاقات موقعة: 23 شباط / فبراير 2002
(وقف إطلاق النار)
بداية الحرب: 1980
عدد الضحايا: 60000
الرعاية: الزوج

آجيه (دار السلام) إندونيسيا
(4 ملايين نسمة)*
اتفاقات موقعة: 9 كانون الأول /
ديسمبر 2002 (اتفاقية سلام)
بداية الحرب: 1976
عدد الضحايا: 12000
الرعاية: الأمم المتحدة، سويسرا

جاكارتا

تيمور الشرقية (1 مليون
نسمة)
اتفاقات موقعة: أيلول /
سبتمبر 1999

كولومبو

* استئناف المعارك في ربيع 2003

كوسوفو
(مليوناً نسمة)
اتفاقات موقعة:
حزيران/يونيو 1999

مقدونيا (مليوناً نسمة)
اتفاقات موقعة: صيف 2002
(حفظ السلام)

البلقان
• بلغراد
• سكيوبي

سيراليون (6 ملايين نسمة)
اتفاقات موقعة: كانون الثاني/يناير 2002
(اتفاقية سلام)
بداية الحرب: 1991
عدد الضحايا: 50000
الرعاية: المملكة المتحدة، منظمة الأمم المتحدة

السودان - جنوب السودان
(السودان: 31 مليون نسمة
جنوب السودان: 8 مليون نسمة)
اتفاقات موقعة: 15 تشرين الأول/أكتوبر
2002 (وقف إطلاق النار)
بداية الحرب: 1983
عدد الضحايا: 2 مليون
الرعاية: الولايات المتحدة الأمريكية

أسمره
• الخرطوم
• أديس أبابا

جمهورية الكونغو الديمقراطية (66 مليون نسمة)
اتفاقات موقعة: 17 كانون الأول/ديسمبر
2002 (اتفاقية سلام)
بداية الحرب: 1998
عدد الضحايا: 2,5 مليون
الرعاية: جنوب أفريقيا

كنشاسا
• لواندا

بوروندي (39 مليون نسمة)
اتفاقات موقعة: 3 كانون الأول/ديسمبر 2002 (وقف إطلاق النار)
بداية الحرب: 1993
عدد الضحايا: 300000
الرعاية: جنوب أفريقيا، ودول الجوار

أنغولا (19 مليون نسمة)
اتفاقات موقعة: نيسان/أبريل 2002
(اتفاقية سلام)
بداية الحرب: 1975
عدد الضحايا: 500000

أثيوبيا - إريتريا
(أثيوبيا: 83 مليون نسمة؛
إريتريا: 5 ملايين نسمة)
اتفاقات موقعة: 6 نيسان/أبريل 2002
(تحكيم نزاع على الحدود)
بداية الحرب: 1998
عدد الضحايا: 80000
الرعاية: لجنة التحكيم الدولية

المحكمة الجنائية الدولية

(CPI)

السياسية في العالم، إلا أن هذه الانتقادات ليست من دون أساس من الصحة. مثال آخر: في العام 2003 تولت ليبيا رئاسة لجنة حقوق الإنسان، على الرغم من السخط والسخرية اللتين قوبلت بهما. وبعد أقل من عام، تمت تسوية المسائل القضائية المتعلقة بمحاولات الاغتيال التي اتهمت بها في سبعينيات القرن العشرين، بعد أن تخلت عن سعيها لامتلاك أسلحة الدمار الشامل، وصافح العقيد القذافي يد طوني بلير وأعيد له الاعتبار في المجتمع الدولي. ودخل إلى بروكسل سائرا على السجادة الحمراء تحت أنظار ممثلي الإتحاد الأوروبي.

المنظمات الأمنية الإقليمية

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وانهاء مرحلة الإستعمار لم تتوقف هذه المنظمات عن النمو والتكاثر. يمكننا أن نذكر هنا: جامعة الدول العربية (تأسست في آذار 1945)، منظمة الدول الأميركية (1948)، منظمة المؤتمر الإسلامي (1971)، منظمة الوحدة الإفريقية (1963). بصورة عامة، الاختلاف الهائل في وجهات النظر، فضلا عن حدة التنافر تحدان أحيانا، وبشكل ملحوظ، من فعالية هذه المنظمات. زد على ذلك، فإن الوسائل التي تمتلكها - إن وجدت - لا تسمح لها بالتصرف أو التحرك إلا في وقت متأخر ودون فعالية كبرى. تتغير الحالة عندما تتمتع دولة ذات قوة كبرى بالقدرة على توريث الدول الأخرى وازعة إكانياتها بين يدي هذه الأخيرة لتستخدمها. هذا ما تفعله الولايات المتحدة في إطار منظمة الدول الأميركية، التي لطالما قامت بدور «شرطي منطقة الكاريبي». إلا أن هذه الحالة لا تنطبق على دولة جنوب أفريقيا التي كان بإمكانها أن تؤدي هذا الدور في إطار منظمة الوحدة الأفريقية.

تأسست سنة 1998، في إطار منظمة الأمم المتحدة، وتعرف باسم المحكمة الجنائية الدولية. وهي امتداد للمحاكم التي أنشئت عام 1993 لمحكمة مجرمي الحرب في يوغوسلافيا (TPIY)، وعام 1994 لمحكمة مجرمي الحرب في رواندا (TPIR). وقد صوتت الصين والولايات المتحدة ضد هذه المحكمة، فيما امتنعت 21 دولة عن التصويت. هذه المحكمة مهمتها محاكمة مجرمي الإبادة الجماعية والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية وجرائم الحرب والاعتداء. اعترضت السلطات الأميركية بشدة على تأسيس هذه المحكمة، رافضة رؤية جنود أميركيين يحاكمون يوما ما فيها. وهي تعتقد أن باضطلاع الولايات المتحدة بدور بارز على الساحة الدولية، هناك خطر كبير بأن تعيق هذه المؤسسة ذلك الدور، فبرأي الولايات المتحدة أن القضاة الموجودين في المحكمة هم حتما قادمون من بلدان معادية لسياسة واشنطن.

حالة منظمة الأمن والتعاون (OSCE)

انطلق مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا (CSCE) عام 1974 على أساس اقتراح سوفياتي قديم، وصدر عنه عدة وثائق كان مصيرها الإهمال، كان الهدف منه إرساء أسس السلام بين شرطي أوروبا، التي مزقتها منطلق الكتل. بدأ المؤتمر في هلسنكي، ثم تبعته سلسلة من المؤتمرات، انفتحت بعد انتهاء الحرب الباردة، على الدول التي كانت منضوية تحت لواء الإتحاد السوفياتي السابق. تحول المؤتمر شيئا فشيئا إلى منظمة دائمة تضم أكثر من 50 دولة. هذا المنتدى المتاح للمناقشات والاستشارات الذي لا يملك سلطة تنفيذية، يمكنه أن يرسل مراقبين عند الطلب، لا سيما من أجل مراقبة سير الانتخابات في البلدان التي ترحب بوجودهم. من جهته، حاول الإتحاد الأوروبي، وهو منظمة إقليمية، أن تكون لديه منظمات، كالمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، التي يمكن للمواطنين أو الجمعيات في الدول الأعضاء الوصول إليها.

وسائل الإعلام بين الحرب والسلام

يتحقق الفوز أو الخسارة في الحرب والسلام تبعاً للصورة التي تظهرهما بها وسائل الإعلام. هذه الصيغة، الخاضعة في الواقع للنقاش، تحظى بأهمية استثنائية نظراً لحضور الصحفيين، والمصورين الفوتوغرافيين، والتلفزيونيين على مسارح العمليات العسكرية.

إن تأثير شبكة التلفزيون الأميركية الإخبارية المستمرة (CNN) خلال حرب الكويت (1990-1991)، شكل الخطوة الأولى نحو ما نسميه عولمة وسائل الإعلام. على امتداد مساحة الكرة الأرضية، ساهم ملايين الأشخاص «بطريقة مباشرة» في العمليات العسكرية، حتى لو كان المعنيون في الحقيقة ليسوا سوى قلة منهم. استطعنا أن نستنتج أن وسائل الإعلام يمكنها أن تفرض سلطتها، بسبب قدرتها على التأثير على الآراء عبر العالم وإعطاء صورة معينة عن الحرب. لكنها تتحول أحياناً بسبب ذلك إلى هدف للسلطات الحكومية أو حتى للمنظمات الإرهابية.

السلطة في الحرب

خلال حرب فيتنام (1964-1975) تمكننا من قياس تأثير حضور وسائل الإعلام. إلا أن هذا التأثير ظل محدوداً بسبب الحرب الباردة. حيث ظلت الازدواجية في الدعاية السياسية أمراً أساسياً. صوت أميركا (VOA) (راديو البروباغندا السياسية الأميركية في العالم) كان يواجه الشائعات التي تبثها مكاتب المعلومات السوفياتية. بدءاً من العام 1990، تغيرت الظروف... الاتصالات، أي بروز الرسالة لتصبح موازية للمعلومات في توجيه العمليات. البعد النفسي بدأ تأثيره يأخذ منحى تصاعدياً، نظراً إلى تنامي سطوة وسائل الإعلام على الرأي العام. أصبحت الشعوب خاضعة للتضليل على النحو الذي نراه باسم حرية الفكر والتعبير. هكذا بدأت المواجهة بين وسائل الإعلام. وهكذا بدأت مواجهة الاحتكار الأميركي لوسائل الإعلام عبر القنوات العربية الجزيرة والعربية.

أصبح المشاهد هو الشاهد (وأصبح بالتالي الهدف) في استراتيجية غزو العقول. أحياناً تصله الحقيقة... لكنها تصل متأخرة. التحكم بوسائل الإعلام ينقلب حتماً ضد مصلحة المرصّين. الحدث لا ينتظر مطلقاً. عام 1964، كان يكفي إقناع مجلس الشيوخ الأميركي بأن خليج تونكين قد تعرض للهجوم، من أجل ضمان الموافقة على شن الحرب ضد فيتنام الشمالية. أيضاً، قبل التصويت على اقتراح شن الحرب من أجل تحرير الكويت عام 1990، أحضر البيت الأبيض شاهدة إلى مجلس الشيوخ، هي ممرضة كويتية، لتؤكد أنها عاشت فظاعة الاعتداءات العراقية على مراكز الأمومة. هذه المرأة لم تكن في الواقع سوى أحد أفراد عائلة السفير الكويتي في واشنطن، وهي لم تغادر أبداً العاصمة الأميركية، وقد أطلقت عدداً من الإشاعات الغامضة. في 2003، كان كافياً التذرع بوجود أسلحة دمار شامل لشن الهجوم على العراق. تحريض هنا، وتسميم أفكار هناك، ما يهنا هو النتيجة وفن تقاذف المسؤوليات بين الجهات المتواطئة يقوم بما تبقى من المهمة. الصحفيون العاملون على الأرض يدفعون ثمن التزامهم العميق أثناء تواجدهم في محيط القتال. هؤلاء ليسوا موجودين على الجبهات، بل في مناطق يدركون

العلاقة الدقيقة بين وسائل الإعلام والجيوش

شهدت نهاية القرن العشرين نمو الاتصالات العملاق للجيوش. لسنا نتحدث هنا عن حرب نفسية، بل عن إيجاد بيئة ملائمة للحرب. التأثير الذي يمارس على الوعي والإدراك في كل الأوقات، هو عامل أساسي من العوامل الأخلاقية للمجموعة وللجماهير التي تقف خلفها، والتي تتواصل بشكل متزايد خلال الأزمات أو خلال الحروب نفسها. إذا كانت هناك دول عدة ترفض وصول وسائل الإعلام إلى الحقيقية، فإن إقصاء الصحافة هو أمر غير مقبول بالنسبة إلى الدول التي تشكل الصحافة فيها السلطة الرابعة. ما العمل إذا؟ كيف يمكن إشباع الطلب على «الأخبار»؟ من ليس لديه أي شيء ليقوله، يصبح موضعاً للشك بأنه يحاول إخفاء الأمور. المسؤولون عن القيام بالحروب أصبحوا يدركون بأن عليهم أن يشغلوا فضاء الاتصالات عن طريق إعطاء المعلومات بطريقة منسقة. إن وجود مركز للإعلاميين يخصص لتجمع الصحفيين وتزويدهم بانتظام بالمعلومات مع تنظيم زيارات للمواقع. التضمين هو السماح للصحافيين بالوصول إلى داخل الوحدات خلال العمليات التي تتم. ثمة عبارات أخرى تقال بهدوء بشأن الأنظمة الصارمة سوف ترى النور يوماً ما، وهي تتعلق بحقل النشاطات والمواجهات الداخلية التي أصبحت أساسية.

الأخطار الموجودة فيها قبل اتخاذ مراكزهم، لكنهم يتواجدون في قلب المعركة المربكة التي تسببها أعمال المقاتلين وهجومات الإرهابيين. في بعض الأحيان يكون الصحافيون أهدافاً (كما حصل للأميركي دانيال بيرل Daniel Pearl)، حتى لو بقي هذا التصرف نادراً لأسباب جلية، شهادته الصحافة يرفعون الإهانة عن زملائهم وتالياً عن وسائل الإعلام.

سلطة أثناء السلم

في معظم الأوقات، توابك وسائل الإعلام الحدث وتغطي مجرياته. إلا أن الإدارة الفاعلة لا ترسل فرقاً في الأوقات التي لا يحدث شيئاً خلالها، وذلك بسبب قلقها على هدر الأرباح.

لنذهب أبعد من ذلك: هل من مصلحة أية قناة تلفزيونية أن تتصرف بدبلوماسية وقائية وتشارك في تدمير الحدث، الذي هو سبب وجودها، قبل ولادته؟ الشعوب السعيدة لا تاربخ لها، لا وجود لمواد تصلح أن تكون سبقاً صحافياً. في المقابل، التأثير الإعلامي يجعل الإنسانية تهتز من الداخل، ويمكنه أن يقود حكومات تكون في البداية غير راغبة بالتدخل، إلى القيام بعملية توسط: كما حصل على سبيل المثال في الصومال والبوسنة وكوسوفو في العام 2004، وفي دارفور (في السودان). لكن هنا أيضاً، بإمكان وسائل الإعلام نفسها تحويل الرأي العام والحكومات عندما تبث صوراً عسكرية فظيعة أو صوراً لضحايا بشرية. في ظل هذه الظروف، يمكن السلطات أن تذهب إلى حد أخذ القرار بالانسحاب، وترك الناس لمصيرهم، لا سيما عندما يتعلق الأمر بمنطقة ما ليس للدول الأخرى مصالح استراتيجية خاصة فيها.

ويكيليكس وأسطورة الشفافية التامة

إن عبارة «تسريب أخبار» (leak) تعني في لغة الإعلام إفشاء معلومات على درجة ما من السرية أمام الرأي العام. وقد أصبحت هذه العملية شائعة إلى حد أنها غدت موضوعاً متداولاً باستمرار من الصحافة. فكلمة «Wjiki» تعني بلغة جزر الهاواي السرعة. وقد نشر موقع ويكيليكس الذي أنشئ عام 2006 عدداً كبيراً من الوثائق المختلفة، والتي تتعلق بصورة أساسية بالقنوات الدبلوماسية والعسكرية السرية، فضلاً عن صور كان لها وقع الصدمة تبين الانتهاكات التي ارتكبتها القوات المسلحة الأميركية في العراق وأفغانستان، مبقياً مصدر تلك المعلومات مغفلاً وغير معروف وفي



مأمّن. ويقول مؤسس هذا الموقع جوليان أسانج (Julian Assange)، وهو مواطن أسترالي مولود في العام 1971، إن الهدف المعلن هو أن يصبح ويكيليكس «مصدر المعلومات الأكثر قوة في العالم» موقعا للشفافية التامة مقابل السرية والتضليل الإعلامي الذي تمارسه الدول والشركات الكبرى. وهو يتكفل بإمطاة اللثام عن كل ما يستوجب الاستنكار في ممارسات دولة ديموقراطية تحترم حقوق الإنسان.

أصبح الصحافيون - وهنا الفرنسيان هيري في غيسكير وستيفان تابوني، هدفا متاحا لمن يرغب باحتجاز رهائن، في إطار النزاعات التي تدور حاليا في العراق وأفغانستان والصومال. ويبدو من الصعوبة مكان تحديد أهداف الخاطفين: أُمُّ قطع طرق أم قرصنة يدفعهم مجرد الجشع المادي، أم إنهم منظمات تسعى وراء أهداف سياسية؟ هذا الغموض يجعل المفاوضات - إذ لا بد من أن يكون هناك مفاوضات بشأنهم - شديدة التعقيد.

هنا يكمن الغموض الأساسي ما بين أسرار الدولة وما هو مجرد أكاذيب تطلقها هذه الأخيرة. فما من شك في أن الأكاذيب التي تروج لها الدولة بشكل منظم بهدف تضليل

الرأي العام مرفوضة تماما، وهي عرضة للملاحظات القانونية على أعلى المستويات. أما الملفات السرية، فهي وسيلة حفظ للمعلومات لخدمة أهداف سياسية، أو مفاوضات عسيرة كتلك التي جرت بين الفلسطينيين والإسرائيليين في أوسلو عام 1993. السرية هنا سمحت بسير المفاوضات سيرا حسنا كما وفرت الحماية لمن قاموا بها. وهي سياسة يتبعها المسؤولون الذين يخاطرون بفقدان مواقعهم ولربما حياتهم في حال كشفت تلك الملفات. الشفافية التامة هي حلم «الأخ الأكبر» (Big Brother) الذي يستطيع السيطرة، ليس على آراء المواطنين فقط، بل على تفكيرهم من خلال التجسس على حياتهم الخاصة. ويكيليكس ليس إذا مجالا مبتكرا لتبادل المعلومات بين مستخدمي الإنترنت. إنه قناة تواصل بسيطة. وعلى الرغم من أنه قد أعلن في الحال انتهاء زمن الدبلوماسية التقليدية، إلا أن تأثيره سرعان ما تلاشى.

وسائل الإعلام المجرمة

البروباغندا، بالمعنى الشمولي للعبارة، بعيدة عن الاختفاء التام. حتى عندما لا تكون خاضعة للتلاعب أو للأنظمة الصارمة، تبقى وسائل الإعلام العسكري في خدمة قضيتها، سواء أكانت هذه الأخيرة جيدة أم سيئة، وسواء أكانت محقة أم لم تكن كذلك. هكذا هي أيضا بروباغندا الدول، وأكثر وأكثر، مواقع الإنترنت التي أصبحت تبث الأفكار الإيديولوجية من كل نوع. وهي تستفيد حاليا من فكرة الاحترام الديمقراطي لحرية الرأي والمعتقد والتعبير، من أجل بث رسائل ضعيفة وتغصّب عرقي وديني وعنصري. الرسائل التي تبثها «راديو ميل كولين» في رواندا عام 1994 والمحرّضة على الإبادة الجماعية تغطي مثلا كريها لا يتوقف عن الانتشار.

- حماية رأيها الخاص من تهجمات الخصوم.
- الفوز بمساعدة «الحياديين»، وهم غير الملتمزين، الجمعيات الدولية، التي يمكن أن يكون تأثيرها مفيدا وفعالا في بعض الأحيان على المواجهات. من المهم، إذا، إعداد خطابات تبرير القضية، وتهاجم الخصم وتقعن الأطراف الأخرى. أخيرا يمكن أن تبحث الحكومة عن طريقة تسم بها الرأي العام لديها، تماما كما فعل راندولف هيرست، مليونير الصحافة الأمريكية حين رافق ماحصل في كوبا لحظة بلحظة (لا سيما ادعاء «اغتصاب الرهابات») الذي برر تدخل الولايات المتحدة في الجزيرة ضد إسبانيا عام 1898، كما حصل أيضا مع روبرت مردوخ الذي سخر إمبراطورية الصحافة الفضائية التي يملكها، لخدمة مصالح إدارة بوش، عن طريق تعزيز الادعاءات بوجود أسلحة دمار شامل في العراق عام 2003.

الحرب الإعلامية تبحث عن ثلاثة أهداف:
- التهجّم على رأي الخصم.



في السنوات المقبلة، هنالك
مشكلتان مطروحتان على بساط
البحث في ما يتعلق بمسألة
الحرب والسلام في العالم. أولاهما
مشكلة أسلحة الدمار الشامل: النووية،
البيولوجية أو الكيميائية. إن تجنب
إستخدام أسلحة من هذا النوع يمر عبر
المفاوضات الدولية وعبر إجراءات التحكم
الفعالة: نجد هنا منطق السلم الحديث.
أما المشكلة الثانية فهي مشكلة الإرهاب.
يجب أيضاً أن نعلم عما نتحدث. إن العودة
إلى التاريخ في هذا الإطار مفيدة، لأنه غني
بالتعاليم. يمر الجواب بالدرجة الأولى
وبصورة ملموسة بالمعلومات وبالتعاون
بين الأمم. وهكذا، فإن من ينشدون
السلام كثير، أما القاسم المشترك بينهم
فهو إعادة تأكيد القانون الدولي بثبات.

عرض عسكري في بيونغ يانغ. كوريا الشمالية متهمة بتحويل
التكنولوجيا النووية المدنية إلى أهداف عسكرية.

الملفات الحالية الكبرى



أسلحة الدمار الشامل

منذ وقت طويل كنا نستخدم عبارة «أسلحة خاصة» ونضيف إليها
الاختصار NBC للدلالة على السلاح النووي، الجرثومي والكيميائي. أما
اليوم فتحدث عن أسلحة الدمار الشامل (ADM). وهذه العبارات تشير إلى
حقائق مختلفة جدا عن بعضها، ولا قاسما مشتركا بينها سوى القدرة على
قتل عدد كبير من الناس باستخدام كمية من المواد أو المنتجات الضعيفة
نسبيا. إلا أن الأسلحة الخفيفة كالساطر والكلاشنيكوف ما زالت تسبب
حتى يومنا هذا مجازر حقيقية وعلى نطاق واسع.

الأسلحة النووية

على الرغم من أن الألعام ذات تأثير واسع، تبقى الأسلحة النووية مسألة أساسية تُبحث على حدة، إن أتية وخطورة تأثيرها المدمر، إضافة إلى كمية الطاقة الهائلة الناتجة عنها تحول دون الحماية الفعالة منها. هذه الأسلحة تبقى الأكثر خطراً وبأشواط. في كل الحالات، يتطلب استخدامها مهارات لا تصل إليها المنظمات الإرهابية وعدد من الدول.

الأسلحة البيولوجية

تطرح الأسلحة البيولوجية مشكلة أخذت بعداً جديداً بمعزل عن عدد من سابقتها، وتأتي الجمرة الخبيثة في مقدمتها. هذه المادة معروفة جيداً من مستخرجها. استنشاقها يُعتبر مميتاً، وأي اتصال بها أو ملامستها يعدّ خطيراً لكنه سهل العلاج. خلال الحرب الباردة، طور السوفييات الأسلحة البيولوجية المميتة على نطاق واسع. وفي العام 1979، تسبب مركز البحوث العسكرية في سفيردولفسك، وعن غير قصد، بانتقال التلوث إلى عدد من السكان. نتج عن هذا الوباء مقتل العشرات من الضحايا. هنالك أيضاً جراثيم معروفة أخرى يمكن أيضاً استخدامها كالتاعون والجدري.

أخيراً، هناك أبحاث عسكرية تتم في الخفاء حول بعض أنواع السموم. لكن، مع التغيير الوراثي لبعض العوامل المعروفة، يمكن الفتك بالسموم باللقاحات الموجودة. بعد هجوم 11 أيلول/سبتمبر عام 2001، كانت الولايات المتحدة ضحية اعتداء من مصدر مجهول باستخدام الجمرّة الخبيثة. الأضرار كانت خفيفة، وأعلن هذا العمل تخريبياً نفسياً وعملياً. إن اتفاقية 1972 حول الأسلحة البيولوجية لا تتضمن أي سمة ملزمة إلا للدول التي وقعت عليها.

الترسانة النووية العالمية

(عدد الرؤوس النووية في 2011)
الولايات المتحدة الأمريكية: 8500؛ روسيا: 11000؛ الصين: 240؛ فرنسا: 300؛ بريطانيا العظمى: 225؛ إسرائيل: 80؛ الهند: ما بين 80 و100؛ باكستان: ما بين 90 و110.



مفتشون من الأمم المتحدة في العراق في نهاية 2012. إن التحقق من التطبيق الصارم للقرارات المتخذة هو واحد من الشروط الأساسية لاستمرارية القانون الدولي وبقائه.

أما إحيائها عام 1993 فلم يتضمن أي ملحقات إضافية ملموسة تتعلق بالتصدي للصناعة البيوجينية التي أصبحت في عز انتشارها.

الأسلحة الكيميائية

تنقسم السموم الكيميائية إلى ثلاث فئات: المسببة للاختناق، والمنقطة (التي تصيب البشرة)، والمسببة للشلل. سواء كانت تلك السموم معروفة وبسيطة كغاز الخردل المستخدم منذ العام 1915، أو معقدة مثل مستحضر «VX»، هذه المستحضرات المختلفة ليست فعالة إلا على المدنيين وعلى الجيوش الراجلة المحرومة من الحماية والتي تؤخذ على حين غرة، كما حصل للمجندين الإيرانيين ما بين 1980-1988 خلال الحرب ضد العراق. في العام 1995، وبعد أن قامت الطائفة اليابانية أوم شريكيو بعدة محاولات فاشلة لنشر الجمرات الخبيثة، لجأت إلى استخدام غاز السارين في مترو طوكيو مسببة مقتل 12 شخصاً وعدة آلاف من الجرحى. خلال الحرب الباردة، كانت قوات حلف شمالي الأطلسي قد تحضرت ضد الهجمات الكيميائية المحتملة ومنها الجرثومية، وذلك نظراً إلى معرفتها ببرامج الأبحاث السوفياتية. توسعت الخبرة، على الأقل عند المقاتلين. حتى إن بلداً مثل إسرائيل يتحكم جيداً بحماية سكانه من الأسلحة الكيميائية.

إجراءات المراقبة

إجراءات المراقبة التي تشوبها النزاعات تعطي نتائج موثوقة أيضاً نظراً لاستحالة إخفاء برامج التسلح الضخمة فيما تكون إجراءات المراقبة قسرية واقتحامية في أن. نتائج تحقيق اللجنة الخاصة الأميركية في العراق التي نشرت في خريف العام 2004، أظهرت أن هذا البلد تخلى عن إطلاق برامج التسلح المتعلقة بأسلحة الدمار الشامل. في الماضي، بين عامي 1919 و1930، لم تكف الفرق العسكرية الفرنسية المكلفة التحقق من مسألة نزع السلاح الألماني عن التحذير والتذكير بالمخالفات وبعمليات الإخفاء المتعددة. لكن السلطة السياسية قررت صمّ أدنيها عن هذا الأمر.

لمعرفة إن كان بلد ما ملتزماً بتعهداته وبعدم إنتاج بعض الأسلحة، تتخذ إجراءات للتحقق من ذلك. تنضوي هذه الإجراءات تحت عنوان الثقة المتبادلة أو تحت عنوان الضغط العسكري. في الحالة الأولى، تتم الموافقة على الإجراءات بالتبادل، وتشكل موضوع تحقيق ومراجعة (كل فريق يتأكد من تحقيق الفريق الآخر لها). في الحالة الثانية، يتم فرضها من جانب واحد هو الفريق المسيطر. أما النتائج فهي بطبيعة الحال مرتبطة بطبيعة العلاقات بينهما. بصورة عامة، ترتكز إجراءات المراقبة المشتركة على اتفاق سياسي بين الطرفين، وهي تأخذ منحى إيجابياً.

صناعة الأسلحة النووية وامتلاكها واستخدامها ممنوع وفقاً لمعاهدة (اتفاقية باريس عام 1993) التي وقعت بشبه إجماع من دول العالم. انسجاماً مع مقاييس إجراءات المراقبة المناهضة للصناعة الكيميائية الباهظة التكاليف لا سيما لجهة أجور العاملين فيها، هذه المعاهدة دخلت إطار التنفيذ الإجمالي منذ العام 1996.

نظراً للتهديدات المتنوعة، أصبحت السيناريوهات الكارثية كثيرة. في الواقع، إن صناعة أو امتلاك أرومة الصناعة البيولوجية، دعمها وانتشارها في ظل ظروف تتميز بفعالية عسكرية حقيقية، تتطلب خبرة عالية ومتخصصة وتنظيماً جيداً. في المقابل، فإن خلق البلبلة والذعر يبقى في متناول يد العقول المخربة. استخدام قنبلة «وسخة» مكونة من ملوثات ذات فعالية شعاعية ضعيفة لا تقتل أحداً، لكنها تولد حالات ذهان حادة. لهذا أطلقت كل البلدان الغربية منذ العام 2002 برامج الحماية المدنية للتأكد من القدرة على التحرك الفعال على مستوى الإنقاذ في حالات من هذا النوع. لكن التهديد يمكن أن يمارس أيضاً من خلال مجالات أخرى. على سبيل المثال، إن المساس بالسيولة النقدية والشخصيات عن طريق نظام المعلوماتية. كذلك فإن توجيه ضربة إلى إدارة التحكم الجوي يمكن أن يشكل أيضاً سلاحاً حقيقياً للدمار الشامل.



أحد ضحايا الهجوم بواسطة غاز السارين في مترو طوكيو في آذار/مارس من عام 1995. اعتُبر هذا الهجوم الذي لا سابق له أحد الأمثلة على الإرهاب الشامل.

الإرهاب إلى تراجع لكنه مستمر

طريقة العمل المصغرة هذه تُصنف أحياناً مع المقاتلين في خانة النزاعات الخفيفة. إنها طريقة يطبقها عدد قليل من الأشخاص، مستخدمين الأسلحة الخفيفة، ومسببين عدداً قليلاً من القتلى إجمالاً، وما من قاسم مشترك بينها وبين الحرب الكلاسيكية. إلا أن وجهة النظر هذه قد تغيرت تغييراً جذرياً منذ 11 أيلول / سبتمبر 2001.
--

ماهو الإرهاب؟

لطالما شكل الإرهاب موضوعاً لنقاشات مختلفة بين الخبراء قبل هجوم 11 أيلول/سبتمبر 2001. أما بعد ذلك الوقت، فقد أعلنت الولايات المتحدة «الحرب ضد الإرهاب» (صيغة تحتمل الكثير من النقاش، لأنه لا يمكن لنا إعلان الحرب بمدفع واحد أو بصاروخ)، ويبدو أن المسألة قد تشظت وفقدت حتى سبب وجودها. العنف المفاجيء الذي حصل في 11 أيلول/ سبتمبر لم يتمكن من إلغاء وجهة النظر القديمة بشأن الإرهاب، وتنوعه وتعقيده. يبقى الإرهاب وسيلة تسخر لخدمة هدف ما. وهذا الهدف بالضبط هو الذي يعطي الشرعية لطريقة العمل هذه. هذا الأمر يدخل في إطار المواجهة بين مجموعتين أو بين كيانيين من



جورج تينيت، المدير السابق لوكالة الاستخبارات المركزية (CIA)، يدي بشهادته أمام لجنة التحقيق في مجلس الشيوخ الأمريكي في عام 2002. بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001، سبقت أجهزة الاستخبارات طويلاً قيد المسألة.

طبيعتين سياسيتين مختلفتين بوجه عام، يمتلكان وسائل غير متكافئة. ولأن أحدهما يشتهر بأنه أقوى من الآخر، نعتقد بصورة عامة أن الأضعف، يستخدم سلاح الإرهاب لأنه لا يملك وسيلة أفضل. لكن إذا قبلنا فكرة إرهاب الدولة في مواجهة مجموعة سياسية أو أقلية وطنية، نجد أن الأقوى هو الذي يستخدم قدرته على الإكراه ضد الأضعف. أعلنت الاتفاقية الفرنسية عام 1793 أنها «وضعت الإرهاب على جدول أعمالها». بالطبع، كانت الجمهورية يومئذ مهددة من الفرق الغريبة، لكن المجازر ونفي غير المقاتلين التي كانت انتشرت في مختلف أنحاء البلاد (تجديداً في فونديه)، يمكن اعتبارها من أشكال الأعمال الإرهابية الحقيقية. وقد يجادل البعض حول الطابع الإرهابي لدولة تركيا لدى قيامها بقمع الأرمن (في بداية القرن العشرين) والأكراد (منذ وقت قريب). هذه الاستراتيجيات قادت المجموعات المستهدفة للجوء إلى الإرهاب كرد من الضعيف في وجه القوي. هذه الازدواجية أدت إلى اعتبار أن الطبيعة السياسية للإرهاب تتحدد بحسب الجهة التي تقف إلى جانبها ووجهة النظر التي نتبناها.

لم تكف عن اعتبار المقاومين والمناصرين إرهابيين، ولم يكف المحتلون النازيون عن معاملتهم على هذا الأساس. نجد إحياء لتلك الذكرى في طريقة النظر إلى العمليات التي قامت بها بعض المجموعات العراقية ضد قوى الاحتلال الأميركية منذ سنة 2003. رئيس السلطة الفلسطينية، ياسر عرفات، القائد التاريخي لحركة فتح ثم منظمة التحرير الفلسطينية، اكتسب مع مرور السنين منزلة الزعيم السياسي وقد بات معترفاً به من عدد من الحكومات في العالم. لكنه بقي زعيماً إرهابياً بالنسبة إلى اليمين الإسرائيلي، وعلى رأسه مناحيم بيغن الزعيم السياسي قبل أن يصبح رئيس وزراء إسرائيل من العام 1977 حتى 1983. مع العلم أن بيغن كان أحد المسؤولين عن مجموعة «سترن»، وهي فصيل متطرف من الأرغون (منظمة صهيونية يمينية)، وهو مسؤول عن عدد من الهجمات التي سببت الكثير من القتل بين عامي 1946 و1948 ضد البريطانيين، الذين اعتبروا هذه المجموعات إرهابية وتستحق الإعدام وفق الأحكام الصادرة عن المحاكم العسكرية. هذه الحالات المعقدة منعت الولايات المتحدة من إعطاء تحديد عالمي للإرهاب. ولا شك في أن أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001 قد ساعدت في

الفرق بين الإرهاب والعمل القتالي

طبيعة الهدف تشكل مفتاحاً مهماً وعملياً في هذا الإطار. وهي تعتمد على مبدأ عدم التمييز. فبينما تختار الفرق القتالية أهدافاً عسكرية، تتمثل في القوات المعادية، معداتها اللوجستية، مخازن الذخيرة... يرفض الإرهاب التمييز بين المدنيين والعسكريين، المقاتلين وغير المقاتلين. فالإرهابيون يفكرون من خلال منطق شمولي يعتبر المجتمع بأكمله أو المجموعة المعادية أعداءه، رجالاً ونساءً وأطفالاً. وقد أصبح الإرهاب بوجه ضرياته بشكل أقل انتقائية في كل مرة، وبشكل أكثر شمولية. من المناسب حينئذ معرفة أن الحركة الإرهابية نفسها يمكن أن تستخدم الإرهاب والقتال والعمليات العسكرية معاً أو كلا على حدة، ما إن تمتلك القدرة الكافية، وذلك وفقاً لما تتمتع به من قوة.

دفع النقاشات حول موضوع الإرهاب قدماً. على كل حال، وحده الاتحاد الأوروبي هو الذي توصل في حزيران/يونيو من العام 2002 إلى اعتماد نص سياسي وأخلاقي وقضائي في أن لتعريف الإرهاب.

التقليد الإرهابي

استطعنا تمييز أشكال بدائية من الإرهاب في الجرائم المنهجية التي اقترفها أصحاب الأرض الأصليين ضد المحتلين الرومان في مملكة يهودا، وكذلك في الأفعال التي ارتكبتها طائفة تدعى «الحشاشين» (assassins)، اتخذت معقلاً لها قلعة «الأموت» المنيع، الواقعة في شمالي إيران حالياً، خلال القرون الوسطى. كانت هذه الطائفة توجه القتل الذي يعملون لحسابها ضد أعدائها السياسيين المسلمين، وفي ما بعد ضد زعماء الصليبيين، بناء على أوامر «عجوز الجبل». أما الإرهاب في عصرنا الحالي فيأخذ منحى يتحدد بعاملين يبدوان مهمين في الوقت نفسه: اختراع المتفجرات الكيميائية ووسائل الإعلام ذات التأثير الجماهيري. شهد القسم الثاني من القرن التاسع عشر تطوراً «للقنبلة» الفردية من الحجم الصغير، التي توسع تأثيرها بسبب تضخيم الصحافة لها، وكذلك فعلت وسائل الإعلام الأخرى. وجه الفوضويون أعمالهم نحو أهداف محددة، كان على رأسها السياسيون والعسكريون. لكننا نلاحظ هنا النمو المبكر لتيار راديكالي اتخذ من مجمل «البرجوازية» هدفاً له، واعتزم وضع قنبلة في كل الأماكن التي ترتادها هذه الطبقة المكروهة. في روسيا، هدفت عدمية نيتشه إلى إنشاء فوضى ثورية تطهيرية، لا تخشى اللجوء إلى مختلف أشكال العنف.

التفكير بعمل ما من حيث التأثير الإعلامي يسمح لمجموعة ما بأن تصبح معروفة، كما يسمح «للقضية» بأن تخرج من الظلمة إلى العلن.

العمليات التي قام بها الفلسطينيون ما بين عامي 1970 و1980 (تحويل خط



سير طائرات، خطف رهائن إسرائيليين خلال الألعاب

انفجار قنبلة في غرفة أحد مثبتي الفوضى الروس في باريس. الفوضويون العدميون أرادوا أن يسببوا فوضى بشتى الوسائل، ما أظهرهم مظهر العنف.

الألمبية في ميونيخ) أخرجت «المقاومة الفلسطينية» من طي النسيان ومن إطار فشل استراتيجيتها في الأردن (أيلول الأسود، 1970).

تصنيف الإرهاب

في لغة الشرطة، نتحدث عن جيوش ماثلة على الأرض غير حكومية، وعن طوائف تتخذ من العنف منهجاً لها وعن جرائم منظمة. اللغة السائدة تستخدم عبارة المنظمات الإرهابية. منذ أيلول/سبتمبر 2001، بدأت هذه اللغة تفتقد إلى الدقة عند الإشارة إلى «الإرهاب» وحده. هذا التعبير المترامي يسم بالخزي كل من اعتقد أو حاول الاعتقاد أن الإرهاب يمكن أن يكون هدفاً بحد ذاته. ينتهي بنا الأمر إلى نسيان أن الإرهاب لطالما شكل وما زال يمكن أن يشكل سلاحاً بيد الدول نفسها.



رجال الشرطة في عملية بحث وإنقاذ مباشرة بعد الاعتداءات على عدة قطارات في ضواحي مدريد، في 11 آذار/مارس 2004. هذا الحدث المأسوي، الذي حصد نحو 200 ضحية وكانت نتاجه السياسية كبيرة، أكد أن أوروبا تبقى هدفاً مفضلاً للمجموعات الإسلامية المتطرفة.

هذا الشكل من إرهاب الدولة لا يبحث عن الأضواء. على النقيض من ذلك، هو يعمل في الظل ضد هدفه ليُرهب في الخفاء مجموعة ما، هي بحاجة إلى الاستفادة من وسائل الإعلام للتعريف بوضعها الخاص. مارس الرئيس العراقي صدام حسين إرهاب الدولة (لا سيما ضد الأكراد والشيعية)، ولم يكن الوحيد الذي فعل ذلك بالطبع. حتى لو أخذنا ذلك بعين الاعتبار، تبقى هناك مسألة عالقة: الإرهاب وسيلة توضع في خدمة هدف ما، وليس غاية بحد ذاته. كل الوسائل تعتبر جيدة عندما يتعلق الأمر بالعمل الإرهابي، وليس هناك مكان واحد مفضل على سواه. فالمسألة كلها ترتبط بتوافر الظروف الملائمة.

إلى جانب الحكومات التي تمارس الإرهاب أو تشجع على ممارسته، هناك منظمات «هدفها غير ربحي» قدمت نفسها على أنها تهدف إلى تغيير الأوضاع القائمة، مهما كلف الأمر. تصنف هذه المنظمات ببقي موضوع جدال لا ينتهي بين المتخصصين.

إذا أخذنا الأهداف بعين الاعتبار، لا يوجد مبدئياً أي قاسم مشترك بين تنظيم القاعدة ومنظمات الدفاع عن الحيوانات. لكن بعض هذه المنظمات (لا سيما في الولايات المتحدة وبريطانيا) قطعت على نفسها عهداً أخلاقياً صارماً: شرعية القضية التي لا جدال فيها تبرر في بعض الحالات اللجوء إلى العنف العشوائي (لكن ليس الأعمى) ضد «العدو». بمعنى آخر أكثر صرامة، تتميز المنظمات الإرهابية بحسب المبدأ الأساسي الذي تتحرك بموجبه:

- منظمات وطنية مستقلة، محلية، دولية إلى حد ما: منظمة إيتا الانفصالية (ETA) (حركة إقليم الباسك، في إسبانيا وفرنسا)، الجبهة الوطنية لتحرير كورسيكا (FLNC) (حركة كورسيكية، في فرنسا)، الجيش الجمهوري الإيرلندي (IRA) (حركة كاثوليكية إيرلندية، في أستر)، نمور التاميل (سريلانكا)، حزب العمال الكردستاني (PKK) (في تركيا).
- منظمات روحية تتناسب مع المحركات السياسية -



خريطة (على الصفحتين التاليتين)

إن خارطة محاولات الاغتيال التي جرت في العالم منذ العام 2001 تستبعد المجموعات الإرهابية الإسلامية من أي انصياع للقوانين الدولية. وهكذا، فإن العملية الإرهابية التي نفذت في نيودلهي في تشرين الثاني/ديسمبر 2001 تم ربطها بالمجموعات المتطرفة التي تطالب بانفصال كشمير ذات الغالبية السكانية المسلمة عن الهند.

الإيديولوجية التي تحرك التنظيمات وأحياناً الدول (إيران). المحركات السياسية الإرهابية ذات المنحى الدولي توسعت بشكل كبير في أواخر

ستينيات القرن العشرين، على قاعدة مواجهة «الإمبريالية الأميركية». هذا هو حال جماعة الجيش الأحمر الألماني، منظمة الألوية الحمراء الإيطالية أو الجيش الأحمر الياباني.



المجموعات الإرهابية الرئيسية وفقاً لمصادر المعلومات الغربية: أوروبا/أميركا اللاتينية

جيش التحرير الوطني الكولومبي / (ELN) (تنظيم ماركسي)
 تنظيم الدفاع الذاتي الكولومبي الموحد (تنظيم تابع لليمين المتطرف)
 الخلايا الثورية (تنظيم ماركسي، اليونان)
 قوات الجيش الثوري الكولومبي / (FARC) (تنظيم ماركسي)
 حركة تحرير إقليم الباسك / (إيتا/ETA) (حركة انفصالية، إسبانيا)
 حركة درب المضيء (تنظيم ماوي، البيرو)

المغرب العربي، والشرق الأوسط والأدنى

تنظيم القاعدة (انظر ص 102)
 عصبة الأنصار (تنظيم سني، لبنان)
 كتائب شهداء الأقصى (تنظيم إسلامي فلسطيني)
 حركة الجهاد الإسلامي المصرية
 حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية
 الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (تنظيم ماركسي - لينيني)
 الجماعة الإسلامية (مصر)
 الجماعة الإسلامية الجناح العسكري (تنظيم سني، الجزائر)
 الجماعة السلفية للدعوة والقتال (الجزائر)
 حماس / حركة المقاومة الإسلامية (تنظيم سني فلسطيني)
 حزب الله (تنظيم شيعي، لبنان)
 حزب العمال الكردستاني (تنظيم ماركسي، تركيا)

تنظيم القاعدة

«الفيالق العربية» بالتواجد في هذا البلد، الذي كان مغلقاً في وجهها حتى ذلك الوقت، حيث وجدت فيه تربة ملائمة لممارسة نشاطاتها. على الصعيد العملائي، تعمل القاعدة كجهة داعمة وموجهة للأوامر في العمليات أو في تمويل متطلبات المنظمات الأخرى المتواجدة على امتداد العالم الإسلامي بأسره.

تجد الإيديولوجيا مصدرها في السلفية وفي التحوير المتطرف الذي أدخلوه على فكر الإخوان المسلمين، وهي منظمة أسسها المدرس المصري حسن البنا عام 1928. فضلاً عن التفسير الشكلي والحرفي للقرآن (الذي يعد المصدر الوحيد للقوانين)، تعتبر هذه النظرية الطائفية أن الأراضي الإسلامية (دار الإسلام) محتلة من اليهود والصليبيين المسيحيين الذين يحظون بمساعدة من المسلمين السيئين، وهم الحكام الظالمون والفاسدون. يجب أن ينصب مجهود المؤمن على الجهاد ضد المعتدي وأزلامه بشتى الوسائل. وكان من أوائل ضحايا هذه الإيديولوجية أنور السادات الذي اعتبر خائناً وكافراً وأعدم بعد فتوى أصدرتها مجموعة التكفير والهجرة عام 1981.

«القاعدة» عبارة استخدمها عبد الله عزام (عالم إسلامي أردني من أصل فلسطيني) للدلالة على تجمع ضم عدداً من الشخصيات، كأسامة بن لادن وأبين الظواهري، في نهاية الحرب الأفغانية ضد السوفييات (1989). النواة الأولى لهذا التنظيم التي اجتمعت في بيشاور في باكستان، على الحدود الأفغانية، تألفت في الأساس إذاً من مصري وسعودي من أصل يمني. الثروة الشخصية لبن لادن ومواهبه كرجل أعمال ناجح سمحت بتمويل الشبكات الأولى للتنظيم. وفي ما بعد قام مشروع كبير لجمع الأموال من الجمعيات الخيرية الإسلامية أو من تلك التي تتستر خلفها، وكذلك من تنظيم عمليات التهريب، ما سمح بدعم نشاطات العديد من المنظمات الإسلامية.

بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001، اهتزت النواة الأولى للتنظيم بقوة بسبب الحرب التي انطلقت ضد الإرهاب وضرب مخيمات التدريب في أفغانستان. لكن على النقيض من ذلك، فإن الفوضى التي أثارها التدخل الأميركي في العراق عام 2003 أتاح الفرصة لقسم من



أسامة بن لادن و«ذراع اليمنى» أبين الظواهري، أُخذت هذه الصورة في أفغانستان عام 1998. (قتل بن لادن على يد القوات الخاصة الأمريكية في باكستان سنة 2011).

هذه المجموعات تلقت تدريبها في المخيمات الفلسطينية، بتمويل من بعض التنظيمات السرية.

في البلدان الإسلامية، يصعب التفريق بين الدين والسياسة، فتجد الأنظمة العلمانية نفسها مجبرة على رسم خط لتحديد مجال كل منهما. هذا التمييز بين المضمارين يتجذر بصعوبة لأنه يركز على طوعية قسرية (تركيا، مصر، سوريا، والعراق حتى 2003)، وليس على مشاركة حرة من الشعوب، فهذه الأخيرة لا يمكن أن تأتي إلا من الديمقراطية ومن التعددية السياسية، إذاً، من الصعب مثلاً تصنيف حزب الله في لبنان من خلال المعيار الوحيد والفريد للدين. حتى إن شبكة مثل القاعدة تتعاوى مع الأهداف البعيدة والمصالح الوقتية والجيوسياسية، لا تحدد موقفها بمعزل عن السلالة السعودية، التي تتميز أيضاً بالنزعة الوهابية (العودة إلى القرآن والأصولية الإسلامية).

لكن منظمات عديدة تطل إلى الواجهة، تحركها أيدٍ خفية من خلال الاستخبارات السرية لدول مختلفة في حالة المواجهة: كوريا الشمالية، ليبيا، سوريا، إيران والعراق (قبل 2003). هناك العديد من المجموعات الفلسطينية التي استخدمت ومُوتت من حكومات عربية، في محاولة منها لإدخالها كبيدق إلى المنطقة.

بين هذه المجموعات المختلفة (التي نستطيع أن نضم إليها في بعض الحالات مجموعات إجرامية مرتبطة بالمخدرات)، توجد هناك قنوات للتواصل، تتخذ شكل التدريب وتبادل المشغلين. هناك معارضات تتطور أيضاً، من دون الكلام عن النزاعات الداخلية التي غالباً ما تسوّى في سيارة مفخخة.

مستقبل الإرهاب

بسبب القدرة التي تتمتع بها القوات المسلحة الأميركية والحماية التي يوفرها امتلاك الأسلحة النووية للبلدان الغربية، نجد أن كل محاولة اعتداء توجه ضد الكتلة الغربية محكوم عليها بالفشل المؤكد. ونتيجة لذلك، فإن الأعمال البعيدة من هذا المجال وتلك التقليدية (غير النووية) ستبقى لوقت طويل الاستراتيجية الوحيدة المتوافرة



شارك القادة الفرنسيون عام 2003 في مناورة تحاكي هجوماً بالغازات السامة على قطار الأنفاق في باريس. تهدف المناورة إلى الاستعداد للأسوأ أكثر منها إلى طمأنئة الرأي العام.

لتلك الحكومات والمنظمات التي - ولأسباب عديدة - تجد نفسها في حالة مواجهة مع الولايات المتحدة وحلفائها. المقاتلون النظاميون والإرهابيون، بمختلف أشكالهم القديمة والحديثة، وسواء أكانت لديهم الوسائل التقليدية، أم التقنيات المتطورة جداً، مدعون للتوسع والتطور عبر العالم. لذا يجب، إذا، إعادة وضع هجوم 11 أيلول/ سبتمبر في إطار هذه الاستراتيجية العالمية.

السيناريو الكارثة

منظمة إرهابية، تستخدم سلاحاً نووياً بسيطاً (ذا قدرة على الانشطار) يمكنه إطلاق 10 kt من الطاقة، ويوضع في شاحنة معدة خصيصاً لهذا الهدف، بإمكانها الاقتراب من الأماكن المكتظة بالسكان. من غير الضروري الدخول إلى وسط المدينة، فارتفاع الانفجار الذي سيصل إلى 2 أو 3 أمتار لن تكون له فعالية الانفجار الذي يحدثه محرك متفجر على مسافة كلم واحد من الأرض. في مطلق الأحوال، فإن الموجة الحرارية، والعاصفة الهوائية، والموجة الصدمية الناتجة ستؤثر في منطقة يبلغ قطرها نحو كلم ونصف على مسافة 15 كلم مربع، حيث سيتبخّر كل ما يقف في طريقها. إشعاعات «غامما» والنيوترون باستطاعتها مع الظروف المناخية الملائمة إصابة السكان على امتداد عشرات من الكيلومترات. أما «المتساقطات الإشعاعية» التي ستنهمر نتيجة الانشطار (سترونتيوم 90، سيزيوم 137، ويود 131)، إضافة إلى العُدوى السريعة، تتطلب في ما بعد جهوداً هائلة لتطهير المنطقة. بالمقارنة نجدنا أضعف من الانفجار النووي الحراري سيسبب ذوبان مدينة بأكملها. ويكون لانفجارها آثار مدمرة حقيقية تترافق مع صدمة نفسية هائلة. إضافة إلى ذلك، فإن كل حكومة تتلقى ضربة وحشية كهذه، سوف تبحث عن الانتقام للرد على هذا الإعتداء. ويمكننا تخيل المخاطر التي ستنتج عن ذلك.....

الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل إذا كان هدف بعض المجموعات المتميزة بالإيديولوجيا الدينية والعقائدية وضع نهاية لنفسها، ولمجتمعها بل حتى للعالم بأسره، وإذا أصبح المبدأ المعتمد هو إبادة الأهداف، ألا يجب إدانة استخدام أسلحة الدمار الشامل، النووية والشعاعية والبيولوجية والكيميائية؟

قد نعرض أحياناً على السمعة السيئة التي يتم إضافتها على القضية السياسية لجماعة تلجأ إلى هذا النوع من الأسلحة. لكن بالنسبة إلى منظمات تحركها إيديولوجية راديكالية قوامها الحرب ضد عدو لا مجال للتفاوض معه، عدو يجب معاقبته وتعذيبه وإرهابه، يغدو استهداف العدد الأكبر من الضحايا هدفاً منطقياً وإيجابياً. من هنا ليست المسألة سوى مسألة وسائل وقدرات تقنية.

يبقى اللجوء إلى السلاح النووي أمراً في غاية التعقيد. إذ يتم مراقبة المواد جيداً؛ يبقى إنتاجها مسألة صعبة جداً وتتطلب نوعاً محددًا من الصناعات. لكن، وفي إطار عدم القدرة على صنع البلوتونيوم، يبقى السؤال المطروح هو معرفة إن كانت هناك منظمة إرهابية قادرة على امتلاك سلاح من هذا النوع بمساعدة «دولة مارقة» أو سلطة فاسدة، في الفناء الخلفي أو في إحدى المغاور في أفغانستان. هذه الفرضية تبدو لحد الآن مستحيلة. فهي تتضارب مع مشكلة نقل كمية من المواد المشعة غير المستقرة وإمكانية المراقبة الدائمة للحرارة. أما بالنسبة إلى الأسلحة الصغيرة ذات الطاقة المنخفضة (2 أو 3 kt مقارنة بقلبة هيروشيما 17 kt) والحجم الصغير، فهي بالتالي قليلة العدد وتتطلب

أيضاً درجة عالية من التقنية. الروس والأميركيون هم الوحيدون الذين يمتلكون مثل هذه الأسلحة، وهم يراقبونها بعناية بمعزل عن الشائعات التي تطلق في هذا الإطار.

الإرهاب الانتحاري

هذا الشكل المتطرف من العمل الإرهابي يجعل من الإنسان نفسه سلاحاً. وهو، مثل الإرهاب العادي، يجد جذوره في التاريخ. حادثة 11 أيلول/ سبتمبر والنزاع الإسرائيلي - الفلسطيني ثم المسألة العراقية والحرب في الشيشان كلها جعلته مرئياً بوضوح. لم نعر يوماً الانتباه لاستخدامه بشكل نظامي وفعال في سيريلانكا من جهود التاميل في ثمانينيات القرن العشرين، التي

قدّرت السوق العالمية للحماية من الإرهاب بـ 120 مليار دولار، أما سوق حماية شبكات المعلومات فقدّرت بـ 50 ملياراً. بالمقارنة، ارتفعت موازنة الدفاع في الولايات المتحدة عام 2012 إلى نحو 500 مليار دولار، يُضاف إليها 50 ملياراً للعمليات الخارجية.

كانت السنوات الأولى التي تسجل انخراط النساء في هذا النوع من العمليات. أمام هذه التهديدات المباشرة، كيف السبيل إلى تنظيم تصدّ فعال للإرهاب؟ من الواضح أنه، إذا كان التهديد محدداً، فأشكال الرد السريع تكون متعددة وفقاً لمفاهيم ومصالح هذا الطرف أو ذاك. أميركيون، روس، إسرائيليون، وأوروبيون كلهم يبغون شنّ الحرب على الإرهاب، كل بحسب ثقافته الوطنية. تحركت الولايات المتحدة وأوجدت وزارة للأمن الذاتي (الأمن الداخلي)، وهي عبارة عن آلة إدارية هائلة، ما زال يجدر بها إثبات فعاليتها الحقيقية. فضلاً عن ذلك، نجد أن إدارة بوش تلاحق الإرهاب في العالم أجمع، مستعينة بالقوات المسلحة. من وجهة النظر هذه، يشكل اجتياح العراق عملاً ضد الإرهاب. إلا أن هذا لا يمثل وجهة نظر معظم الدول الأوروبية. هذه الدول التي أرسّت نشاطاتها على أسس العدالة والشرطة، فيما القوات المسلحة لا تقدم إلا المساعدات الإضافية، وهي مساعدات محددة وبارزة في الوقت نفسه (مراقبة مشددة للأماكن العامة، حماية جوية للاحتفالات، مراقبة الأماكن الحساسة...). الحكومات الأميركية والروسية والصينية والإسرائيلية وبلدان أخرى تجد في التهديد الإرهابي ليس فقط حجة مثالية، بل دافع قوي لتبرير المشاريع السياسية أو لإعطاء الشرعية لأعمال القمع العنيفة.

إذا كان هناك من نقطة التقاء بين مختلف الممارسات، فهي أن فعالية هذه المقاومة ترتكز



الهجوم على برج مركز التجارة العالمي في نيويورك، في 11 أيلول/ سبتمبر 2001. وشكّل هذا الحدث المأسوي انطلاقة الولايات المتحدة في مكافحة «الإرهاب» دولياً.

على نوعية المعلومة التي يسمح لها هي الوحيدة بالتدخل بها. هذا الأمر لا يفترض فقط ضخ مليارات الدولارات، بل أيضاً تنظيم الوسائل الموجودة بطريقة فعالة، مع تفضيل التعاون بين الخدمات على الصعيد الوطني مع تطوير التبادلات الدولية. وهو عمل صعب في ظل الخلافات في وجهات النظر بين الدول.

أخيراً، تتحقق فعالية الحماية من الإرهاب عند احترام طبيعة المجتمعات الديمقراطية نفسها. هنا مجازفة كبيرة، وفخ حقيقي نصبه الإرهابيون أنفسهم، بهدف استغلال أدنى الانزلاقات.

نظرة استشرافية

إلام ستؤول العلاقة بين السلم والحرب في بداية الألفية الجديدة؟ نلاحظ أن الحروب ليست مرشحة للاختفاء في وقت قريب ، ويخشى من أن ننتظر السلام العالمي طويلاً.



أحد الجنود الأمريكيين يتدرب على إطلاق النار في صحراء نيفادا. مهما كانت طبيعة المعدات، فإن التفوق التكنولوجي للولايات المتحدة يبقى ساحقاً.

مسارم الحرب واستراتيجياتها

كيف وعلى أي قواعد يمكن تخيل الحرب والسلام؟ تكمن المشكلة في وضع عبارات جديدة، محددة من جهة بوجود التفوق العسكري الفائق للولايات المتحدة، ومن جهة ثانية بمظهر التهديد غير المحدد، المتمثل بالإرهاب الذي تتناسب صورته مع صورة التأكيد المذهل على الإسلام الراديكالي، الطائفي والعنيف.

أحادية القطب أم متعددة الأقطاب؟

تبقى الحروب محددة المواقع. لكن المواجهة تشكل سمة عالمية بسبب تدويل الإرهاب وتكاليفه المختلفة الأنواع، والتي قررت الولايات المتحدة الأميركية وضعها في الدرجة الأولى في

التخصيب النووي. الجدل بين أحادية القطب (الولايات المتحدة مركز القوة الوحيد) وتعدد الأقطاب (الولايات المتحدة، الصين، روسيا، الهند، الاتحاد الأوروبي، اليابان والبرازيل...) لا يمكن أن يكون إلا إعادة صياغة للتردد التقليدي بين نموذجين، إما السلام في ظل الإمبراطورية، أو السلام القائم على التوازنات بين السلطات (المنطق الوستفالي). وفيما يبقى الكثير من مناطق الحروب ناشطاً، فإن الدول الأقوى تبحث عن حالات من التوازن. إن تشكيل المثلث الاستراتيجي - الولايات المتحدة، الاتحاد الأوروبي، الصين - يمثل الفرضية الأقوى. لكن أحداً ليس قادراً على معرفة مستوى المواجهة التي ستنشأ بين هذه الكيانات، إن لم يكن إلا بسبب الصبغة الناشئة لاثنين منهم، وبسبب عدم تجانسهم بعضهم مع بعض. مع ذلك، فإن قوى مثل اليابان والهند عليها من دون شك الدخول في هذا النظام، إذا ما استقر في نهاية الأمر. باختصار، إذا ما اتحدت أوروبا، لا يمكن الصين أن تحصر تمثيل آسيا بها وحدها.

الولايات المتحدة هل هي مسالمة أم غازية؟

بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، ظهر هذا البلد كقوة أمر واقع. لتقوية هذا الموقع، أو بالأحرى للالتصاق بثوابت تترك المبادرة للخصم. سعت واشنطن إلى مد تأثيرها لتقوية موقعها. هذا الوضع الناشط يفسر بشكل دقيق المهمات الجديدة لحلف شمال الأطلسي في مناطق التدخل (أفغانستان، آسيا الوسطى)، تلك المهمات التي أصبحت بلا حدود.

تغيير الدوافع؟

تتغير الدوافع المادية بشكل طفيف. إذا ما طبقنا ذلك على الشعوب في العالم، فإن هذه الأخيرة ليست حتى قريبة من التناقص. الاختلافات في مستويات الحياة تزداد، على الرغم من أن المواجهة بين الشمال والجنوب قد فقدت جزءاً من حِدتها في ظل التفاوت العام السائد. جاذبية مصادر الثروة (النفط، الغاز، المياه) لا تخبو أبداً. أما المنافسة فتتجه إلى أن تكون أكثر حدة، لأن الأخصام باتوا أكثر عدداً. الثنائية الأميركية - السوفياتية قد أوقفت المطامع بإغلاقها المجال أمامها. اليوم عادت التدفقات إلى حريتها، لكن هذه الحرية غير المنضبطة، ترتب عليها أخطار كبيرة.

التفتيش عن الازدهار مع الاحتفاظ بالسلطة يؤدي إلى الدخول في دوامة فارغة، تقوم فقط على منطلق الأقوى. المصالح التي تواجهها بالأمس في الشرق الأدنى، تنتقل اليوم إلى آسيا الوسطى. مفهوم «الشرق الأوسط الكبير» الذي بات يستخدم من الدبلوماسية الأميركية، يعبر عن هذه الحالة ويميزها.

خريطة (على الصفحتين التاليتين)

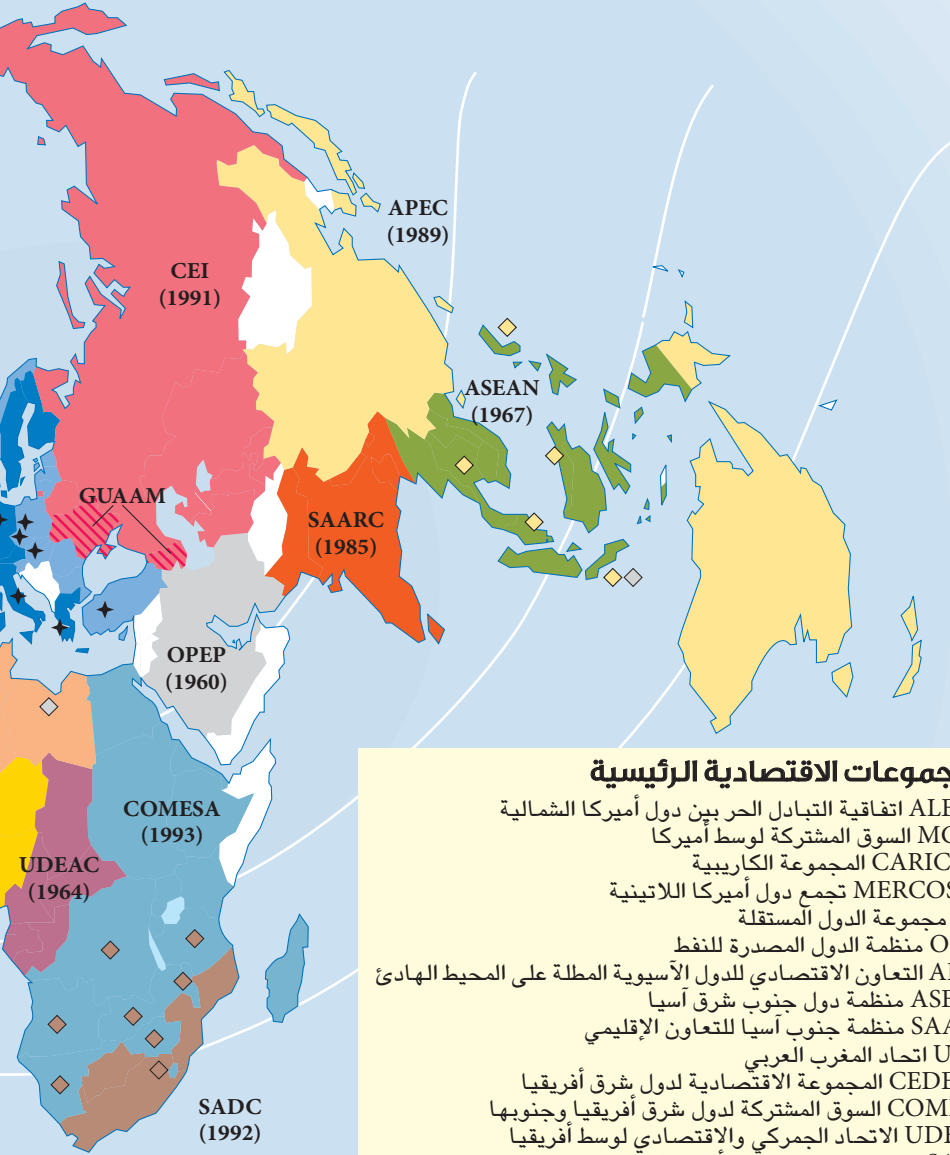
بعد العام 1991 خرج العالم من ثنائية الأقطاب السياسية - العسكرية (حلف الأطلسي مقابل حلف وارسو) ليدخل عصر الاقتصاد الجغرافي (تأمين أو تقوية المناطق الاقتصادية الإقليمية). فهل سنصبح من الآن فصاعداً في عالم «أحادي القطب»، تسيطر عليه الولايات المتحدة الأميركية وحدها، أم إننا في عالم «متعدد الأقطاب»؟



أهي نهاية الإيديولوجيات؟

اختفت الشيوعية كعقيدة للخلاص، مع بقاء بعض الناجين (كوبا، كوريا الشمالية، ولايات هندية، بعض المناصرين في أميركا اللاتينية). أما الإيديولوجية الليبيرالية فلم تتوصل أبداً إلى طرح مفهوم بقاء، إلا أن ذلك ليس من ضمن طبيعتها. يبدو أن هناك نقطة يجب أخذها بعين الاعتبار: لم تختفِ الإيديولوجيات.

الأحلاف العسكرية والمناطق الاقتصادية



الأحلاف العسكرية الرئيسية

OTAN منظمة حلف الأطلسي

OĒA منظمة الدول الأميركية

(مجموع الدول الأميركية ما عدا
كوبا)

OUA منظمة الوحدة الأفريقية

(مجموع الدول الأفريقية)

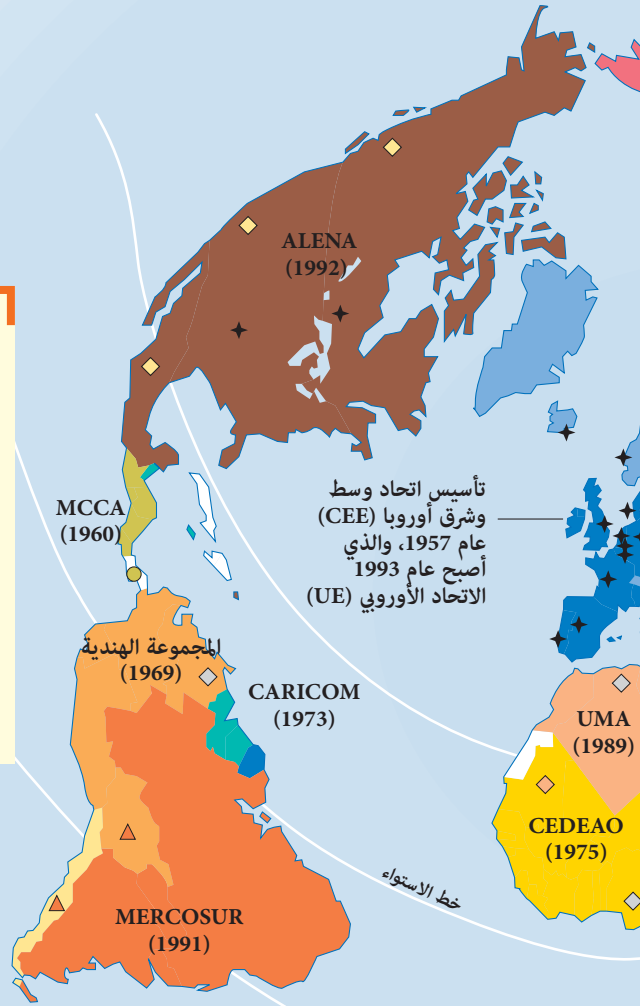
ANZUS اتفاقية الأمن العسكري

بين أستراليا ونيوزيلندا والولايات
المتحدة الأميركية

GUAAM المنظمة العسكرية

والأمنية بين جورجيا وأوكرانيا

وأوزبكستان وأذربيجان ومولدافيا



تأسيس اتحاد وسط
وشرق أوروبا (CEE)
عام 1957، والذي
أصبح عام 1993
الاتحاد الأوروبي (UE)

MCCA
(1960)

المجموعة الهندية
(1969)

CARICOM
(1973)

UMA
(1989)

CEDEAO
(1975)

MERCOSUR
(1991)

- ◆ أعضاء في التعاون الاقتصادي للدول الآسيوية المطلة على الهادئ (APEC)
- ◆ أعضاء في منظمة الدول المصدرة للنفط (OPEP)
- ◆ أعضاء في مجموعة تنمية جنوب أفريقيا (SADC)
- ◆ أعضاء في اتحاد المغرب العربي (UMA)
- ▲ مشاركون في تجمع دول أمريكا اللاتينية (MERCOSUR)
- مراقب في السوق المشتركة لوسط أمريكا (MCCA)



جنود أمريكيون في أفغانستان أيلول/ سبتمبر 2001. بعد الهجمات على نيويورك وواشنطن، أطلق الرئيس جورج بوش آلة الحرب في الولايات المتحدة ضد نظام طالبان الحاكم في كابول.

يبتعد التقليد الوطني من أوروبا التي تجمع الدول – الأمم، لكن الوطنيين عبر العالم يحتفظون بسلطة محرّكة، قادرة على تفكيك العنف.

على الرغم من تباينها، تظهر الحركات المناهضة للعولمة على أنها شكل جديد من أشكال الإيديولوجية الاحتجاجية. فهي تبدأ بإيجاد دوافع جديدة للمواجهة على جبهات التغذية، البيئة، أو المنتجات الثقافية. وتساعد النزعة الروحية، وأكثر من ذلك الخرافات التي عادت بقوة، في نمو الطوائف والمذاهب داخل الديانات الكبرى.

أين ستجري الحرب؟

المنظرون الصينيون والأميركيون مهوسون بمنظور المواجهة العسكرية بين البلدين، منذ أن اقترب مستوى القوة الصينية من مستوى قوة الولايات المتحدة الأميركية. هذه الفرضية الأخيرة تبقى موضع شك؛ فبعض المنظرين الاستراتيجيين قدموا فكرة أن الحرب الكلاسيكية أفسحت المجال من الآن فصاعدا لاستراتيجية عالمية تسمح بتدخل عناصر غريبة، من غير العسكريين. يتطوع الصينيون بالحديث عن «حرب غير عسكرية» من أجل تعيين نوع من

الصين: بين القوة والسلام

عام 1994، أعلن دنغ شياوبينغ أن «الصين قد أصبحت قوة سياسية كبرى، لكن يبقى عليها أن تصبح، في المستقبل القريب، قوة اقتصادية كبرى». واعتبرت الصين منذ ذلك الوقت متساوية مع أوروبا، اليابان، روسيا بل حتى الولايات المتحدة الأميركية في الشؤون الدولية. لكنها تفضل الحلول السلمية نظراً إلى أنها هي نفسها تحتاج إلى السلام لبناء واستكمال قوتها.

عودة إلى مفهوم الحرب الشاملة، ولكن التحضير لها يجري منذ وقت السلم. وهو مفهوم يؤدي في الواقع إلى خلق الاستقطاب العدائي بين الولايات المتحدة وحلفائها، وبين دائرة التأثير التي نجحت الصين في إطلاقها.

أين هي مسارح الحرب؟

لا يصعب كثيراً الإعلان عن تلك المسارح: أفريقيا، والشرق الأوسط وآسيا الوسطى. كما نلاحظ ارتسام منطقة جديدة، تشكل بعداً جديداً من الصراع هو البعد الإلكتروني ومغناطيسي والمعلوماتية. وبفعل عدم وجود الاحتياطات الكافية، من المرجح أن ينتج عن الاعتداءات في هذا المجال آثار مدمرة وعلى نطاق واسع.

وقد أصبح عدم التكافؤ العسكري (قوي/ ضعيف) يشكل

الإطار الاستراتيجي السائد، كما أن العصابات والإرهاب، تمثل أنماط تحرك يلجأ إليها جميع المخربين. وتظهر أسلحة هوائية المادية مزيجاً من ممارسة طقوس قديمة جداً من جهة (القتل المتعمد) وأخرى حديثة تماماً (الإرشاد عبر النظام العالمي لتحديد المواقع GPS). كما تستدعي الأسلحة الروحية للقيام بدور متعاظم. أما في ما يتعلق بالمعلومات والاتصالات التي كانت مهمة بالأصل في القرون الماضية، فهي تأخذ بُعد الأدوات الاستراتيجية التي لم يسبق لها مثيل.

مواقع واستراتيجيات السلام

عموماً، ينظر الأشخاص المعنويون أكثر فأكثر إلى الحرب على أنها فشل في السياسة وليست استمراراً بسيطاً لها. وتراجعت التيارات المؤيدة للحرب على نحو ملحوظ. على صعيد أقل تجرداً وأقل مثالية، يبدو أن الدعوات المعاصرة إلى السلام أصبحت أكثر قدرة على التأثير في مسار الأحداث. فضلاً عن أن اللاعبيين لم يعودوا هم أنفسهم الذين كانوا في القرن الماضي. كما اختفت إلى حد كبير الفجوة الهائلة التي كانت تفصل بين العسكريين ودعاة السلام. واليوم، وفي إطار عمليات حفظ السلام مثلاً، تعمل القوات المسلحة والمنظمات غير الحكومية جنباً إلى جنب. وغالباً ما يدعم أعمالها المثقفون والمدافعون عن حقوق الإنسان. ومع استدخالها عنصراً دينياً مسكونياً، استطاعت الدعوة إلى السلام أن تتخلص خلال عدة عقود من البعد الإيديولوجي التي صبغها منذ قرن. ينشط دعاة السلام المعاصرون في العديد من المجالات وفي العديد من الأماكن، مدعومين من مؤسسات قوية، بما فيها تلك التي تعمل في مجال الأبحاث. ومع ذلك، لا يمكن حرية المبادرة وتعدد المنظمات غير الحكومية العمل من دون إثارة بعض اللغو ولا سيما التنافر العملي. ويبقى المطلوب إيجاد طريقة أفضل لتنسيق الجهود.

إن تاريخ القرن الماضي المثقل بالحروب يذكر لاعبي السلام الفاعلين في الألفية الثالثة بأن الإفراط في التفاؤل قد يؤدي إلى عواقب خطيرة للغاية. هل تعتبر الحرب شرًا دائمًا على الجميع؟ ما بين عامي 2000 و2011، تمت استعادة السلام وتعزيزه في عشرة بلدان في أفريقيا تحديداً في الكونغو، سيراليون، وفي ساحل العاج، وكذلك في تيمور الشرقية، وكما يبدو في سريلانكا الغارقة منذ عشرين عاماً في حرب عرقية دموية بشكل خاص. ومع ذلك، فإن مناطق سلام حقيقي تنتشر وتتوسع بشكل دائم في جميع أنحاء العالم. هذا هو الحال في أوروبا التي تسعى اليوم جاهدة إلى نشر السلام واستقراره في بقية أنحاء الكوكب. والمطلوب أن يتم التحرك من أجل السلام في القرن الحادي والعشرين على مستويين: استراتيجياً، بالاعتماد على الدوافع المادية والروحية (الديموغرافيا، الأمراض، الاتجار باليد العاملة والتعصب وعدم التسامح) للقضاء على احتمال اندلاع أعمال عنف. كما أن الأمر يتعلق باستعادة نظم التحكم بالأسلحة الأكثر فتكاً عبر إيجاد سبل للتعددية تكتيكياً، بالسيطرة على الصراعات (السيطرة والتهدة والحل)، على المدى القصير في منطقة البلقان وفي أفريقيا والشرق الأوسط.

ولكن لا شيء من ذلك يمكن أن ينجح من دون استعادة القانون الدولي من خلال تحسين أداء الأجهزة الأمنية. ولا يعتبر إجراءً منصفاً وفعالاً لصالح السلام إلا من خلال الاعتراف بشرعيتها.



توزيع غذاء في مخيم للاجئين في أفغانستان عام 2001. إرساء السلام يبدأ بالمساعدات العاجلة قبل حل المشاكل الطويلة الأجل بروية.

النزاعات الرئيسية في العالم منذ عام 1945

التاريخ	المنطقة الجغرافية	النزاع	الضحايا
1954-1962	شمال أفريقيا	الجزائر (حرب الاستقلال مع فرنسا)	***
1966 حتى 2011	شمال أفريقيا	الصحراء الغربية (الجزائر والمغرب، وموريتانيا وجبهة البوليساريو في حركة استقلال ضد المغرب)	*
1992 - 1999	شمال أفريقيا	الجزائر (حرب أهلية ضد الحركات الإسلامية)	***
1975 - 1982	شمال أفريقيا ووسطها	تشاد - ليبيا	*
1977 - 1981	شرق أفريقيا	أريتريا - إثيوبيا - الصومال	**
1956 حتى 2011	شرق وشمال أفريقيا	السودان - دارفور (المواجهة بين الحكومة المركزية وحركات التمرد المحلية)	***
1960/1971/1978	وسط أفريقيا	الكونغو/ زائير (محاولة انفصال كاتانغا)	**
1996 - 2004	وسط أفريقيا	الكونغو/ زائير (حرب أهلية ثم حرب إقليمية شملت أوغندا ورواندا وزيمبابوي وأنغولا وناميبيا)	**
2011	وسط أفريقيا	جمهورية الكونغو الديمقراطية (مخاطر نشوب حرب أهلية نتيجة انتخابات 2011)	
2011	وسط أفريقيا	منطقة البحيرات (التدخل العسكري للولايات المتحدة في أوغندا)	
1978 - 1979	وسط أفريقيا (منطقة البحيرات)	جمهورية تنزانيا المتحدة - أوغندا (رد الفعل في جمهورية تنزانيا المتحدة على الغارات التي قامت بها قوات الديكتاتور عيدي أمين دادا)	**
1990 - 1995	وسط أفريقيا (منطقة البحيرات)	رواندا (حرب عرقية)	***
1990 - ؟	غرب أفريقيا	ساحل العاج (مواجهة بين المتمردين والمسلمين في الشمال والمسيحيين والوثنيين في الجنوب)	*
1966 - 1970	غرب أفريقيا	نيجيريا (محاولة انفصال إقليم بيفارا)	***

التاريخ	المنطقة الجغرافية	النزاع	الضحايا
1989 – 1997	غرب أفريقيا	ليبيريا (حرب أهلية)	**
1991 – 2001	غرب أفريقيا	سيراليون (حرب أهلية)	**
2002–2011	غرب أفريقيا	ساحل العاج (مواجهات أهلية خطيرة تفضي إلى القبض على غباغبو)	
2008–2011	غرب أفريقيا	الصومال (حرب أهلية في الصومال، تدخل إثيوبي وأميركي، بروز النزاع في كينيا وأزمة غذاء في منطقة القرن الأفريقي)	
1965 – 1975	شرق أفريقيا	ظفار (صراع بين إيران واليمن الجنوبي)	**
1952 – 1960	شرق أفريقيا	كينيا (تمرد مو- مو والاستقلال)	**
2011	شرق أفريقيا	السودان (اضطرابات خطيرة بعد استقلال جنوب السودان)	
1961–1992	جنوب أفريقيا	أنغولا (الحرب الأهلية بين القوات التي تدعمها ***) جنوب أفريقيا، وتلك التي يدعمها الاتحاد السوفياتي)	**
1974 – 1992	جنوب أفريقيا	موزامبيق (حرب أهلية)	**
1948 – 1949	الشرق الأوسط الكبير	أول صراع عربي -إسرائيلي (الدولة اليهودية الجديدة تواجه قوات من مصر، الأردن، العراق وسوريا ولبنان)	*
1956	الشرق الأوسط الكبير	الصراع العربي - الإسرائيلي الثاني (مصر ضد إسرائيل المتحالفة مع فرنسا والمملكة المتحدة)	*
1967	الشرق الأوسط الكبير	الصراع العربي الإسرائيلي الثالث (حرب الأيام الستة، بين إسرائيل ومصر والأردن وسوريا)	*
1973	الشرق الأوسط الكبير	الصراع العربي الإسرائيلي الرابع (حرب يوم الغفران بين إسرائيل ومصر وسوريا)	*
1982	الشرق الأوسط الكبير	الهجوم الإسرائيلي على لبنان	*
1987 – 1993	الشرق الأوسط الكبير	الانتفاضة الأولى (المواجهة بين القوات الإسرائيلية والسكان الفلسطينيين)	*
2000 حتى 2004	الشرق الأوسط الكبير	الانتفاضة الثانية	*
1975 – 1990	الشرق الأوسط الكبير	لبنان (الحرب الأهلية بين المسيحيين والمسلمين)	**
1970 – 1990	الشرق الأوسط الكبير	اليمن (صراع بين الشمال والجنوب في الداخل)	*
* أقل من 10000 قتيل ** ما بين 10000 و 100000 *** أكثر من 100000 قتيل			

لمزيد من الاطلاع

التاريخ	المنطقة الجغرافية	النزاع	الضحايا
1988 – 1980	الشرق الأوسط الكبير	إيران – العراق	***
1990 – 1991	الشرق الأوسط الكبير	الكويت (حرب الخليج بين العراق وتحالف من ثلاثين بلدا بقيادة الولايات المتحدة)	**
2003 – 2011	الشرق الأوسط الكبير	العراق (الحرب بين قوات التحالف الأنجلو – أمريكية وقوات من نظام صدام حسين. انسحاب القوات الأميركية في 2011)	**
2005 – ؟	الشرق الأوسط الكبير	أفغانستان (تدخل حلف الناتو إلى جانب الولايات المتحدة، توسع العمليات في المنطقة القبلية الباكستانية. الانسحاب المعلن للقوى الغربية في 2014)	
2006	الشرق الأوسط الكبير	الهجوم الإسرائيلي على لبنان في شهر تموز/ يوليو	
2007 – 2010	الشرق الأوسط الكبير	اليمن (حرب بين الحكومة المركزية و«الحوثيين»، الاقلية الشيعية)	
1978 – 1989	جنوب آسيا	أفغانستان – الاتحاد السوفياتي (حرب أهلية ضد الحكومة التي تفرضها موسكو)	**
2001 – ؟	جنوب آسيا	أفغانستان (حرب بين طالبان والتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة)	*
1950 – 1967	جنوب آسيا	إندونيسيا (حروب أهلية وإقليمية ثم حرب أهلية وطنية بين حركات الشيوعية والقوات الموالية للغرب)	**
1950 – 1953	جنوب آسيا	كوريا (الحرب بين تحالف بقيادة الولايات المتحدة وتحالف كوريا الشمالية والاتحاد السوفياتي)	***
1946 – 1975	جنوب شرقي آسيا	فيتنام (حروب فرنسية للاستقلال وحروب أمريكية حتى سقوط سايجون وإعادة توحيد البلاد)	***
1958 – 1974	جنوب شرقي آسيا	لاوس (الحرب الأهلية بين قوى النظام الملكي والقوات الشيوعية)	**
1970 – 1975	جنوب شرقي آسيا	كمبوديا (مقتل ما يقرب من ربع السكان في ظل نظام الخمير الحمر)	***
1967 – 1973	جنوب شرقي آسيا	اشتباكات محلية (أوسوري وشينجيانغ) بين الصين والاتحاد السوفياتي	*

التاريخ	المنطقة الجغرافية	النزاع	الضحايا
1947 / 1965 / 1971	جنوب شرقي آسيا	الهند وباكستان (حول حيدر أباد، وجوناغاد، بنغلادش وكشمير)	**
1980 - 2003	جنوب شرقي آسيا	سريلانكا (الحرب الأهلية مع أقلية التاميل)	**
1979	جنوب شرقي آسيا	النزاع بين الصين وفيتنام بشأن كمبوديا	*
1962	جنوب شرقي آسيا	النزاع على الحدود بين الصين والهند	
1987 - 1992	القوقاز	جورجيا (اضطرابات للانفصال عن الاتحاد السوفياتي، ثم بعد الاستقلال، اضطرابات داخلية مع الأقليات الأبخازية والأوسيتية)	*
1988 - 2004	القوقاز	أذربيجان (النزاع مع أرمينيا بشأن منطقة ناغورني كاراباخ)	**
1991 - 2004	القوقاز	الشيخان (نزاع بين روسيا وحركات الانفصال)	**
1954 - 1996	أميركا اللاتينية	غواتيمالا (الحرب الأهلية التي تشمل السكان ذوي أصول هندية)	**
1963 - 1992	أميركا اللاتينية	هندوراس (التوترات مع السلفادور التي بلغت ذروتها في عام 1969 في حرب ما يسمى «كرة القدم» عقب مباراة بين منتخبى البلدين)	*
1978 - 1996	أميركا اللاتينية	نيكاراغوا (حرب أهلية بين القوى اليسارية والقوات الموالية للولايات المتحدة)	
1972 - 1992	أميركا اللاتينية	السلفادور (حرب أهلية بين القوى اليسارية والقوى التي تدعمها الولايات المتحدة)	*
1982	أميركا اللاتينية	جزر مالفيناس (صراع محلي بين القوات الأرجنتينية والمملكة المتحدة)	*
1945 - 1948	أوروبا	اليونان (حرب أهلية بين القطاعات الشيوعية وأخرى موالية للغرب)	**
1963 - 2004	أوروبا	قبرص (نزاع محلي بين اليونان وتركيا)	*
1991 - 1992	أوروبا	كرواتيا (نزاع بين قوات كروات وصرب أدى الى استقلال كرواتيا)	*
1992 - 1995	أوروبا	البوسنة (نزاع بين القوات البريطانية، والكروات والصرب)	**
1992 - 1999	أوروبا	كوسوفو (صراع بين صربيا وقوات التحالف بقيادة حلف شمال الأطلسي والولايات المتحدة حول هذه المنطقة ذات الأغلبية السكانية الألبانية).	*
* أقل من 10000 قتيل	** ما بين 10000 و 100000	*** أكثر من 100000 قتيل	

المناقشات المعاصرة حول الحرب والسلام

إن فرض وجهة نظر شاملة للعالم تمثل تحدياً لا يستهان به للدول المهيمنة. هناك عدة مفاهيم أميركية تؤثر في الفكر الجيوسياسي منذ نحو خمس عشرة سنة، وهي تلك المتعلقة بعولمة ديمقراطية السوق، والتي تعتمد على نظرية ف. فوكوياما، وعلى فكرة صدام الحضارات، التي تكلم عنها ص. هنتنغتون، والمواجهة بين الأمريكيين الواقعيين والأوروبيين الطوباويين، وفقاً لرأي ر. كاغان.

بمسألة «التفكير في العالم» ضمن المفاهيم التي فرضها هؤلاء المثقفون. وسواء كنا نتمسك بهذه الرؤى أو نرفضها بشدة، فليس للأمر بحد ذاته سوى أهمية ثانوية فقط. فالمهم هو بناء عالم عقلي ينشأ عن الفكر الأمريكي. هذا الأمر مهم لسببين: أولاً، لأنه يرتبط بقناعة خاصة بالثقافات الغربية يعتبر النقاش الفكري بموجبها أداة رئيسية في الفكر السياسي.

إنها في الواقع صيغة «لينة» من الحرب النفسية. فيجذب الآخرين إلى المجال العقلي لوجهة نظر محددة، ينتهي الأمر بفرض وجهة النظر تلك عليهم. وثانياً، لأن هذا يتوافق مع تنفيذ ثورة المعلومات. تدور الأفكار أولاً بصورة متزايدة إلى أن تخف وتيرة هذا الدوران (تماماً كقطعة النقود). وفي هذا المجال أيضاً حيث تشكل هذه النظريات أداة قوة، فإن الولايات المتحدة تبقى متقدمة على جميع البلدان الأخرى.

منذ نهاية الحرب الباردة، هزت ثلاث مناظرات مجال العلاقات الدولية والاستراتيجية. بالنسبة للمناظرتين الأوليين، الأمر يتعلق بإعطاء معنى (لدلالة وتوجيهها) إلى حالة العالم الذي يتميز باختفاء الاتحاد السوفياتي والأيدولوجية الشيوعية، مع الأخذ في الاعتبار القوة غير الموازية للولايات المتحدة الأمريكية؛ أما الثالثة فتمثل تفكيراً محدداً أكثر بشأن شروط مستقبل العلاقات الأوروبية - الأمريكية.

وقد نوقشت هذه المقاربات المختلفة المصممة من المثقفين الأميركيين مراراً وانتقدت في البلدان الأوروبية، كما في جميع أنحاء العالم في الدوائر المتخصصة. وخلافاً لما نعتقد في بعض الأحيان، فإنها لا تعكس أبداً مفهوم حكومة الولايات المتحدة واستراتيجيتها، بل تساهم على الأرجح في استراتيجية تأثير تتوافق مع القدرة الحالية للولايات المتحدة والمتعلقة

«نهاية التاريخ»

يكتسح العالم من دون مواجهة نظام قادر على التصدي له بعمق، فهل سيؤدي غياب التناقضات إلى نهاية التاريخ؟ ويعترف فوكوياما بحذر أن غالبية دول العالم الثالث ما زالت غارقة في التاريخ و«سوف تكون أرض المواجهات خلال السنوات المقبلة». ومن المرجح جداً وقوع مواجهات بين الدول الغارقة في التاريخ وتلك التي تجاوزت التاريخ (التي تجاوزت التناقضات الأيديولوجية).

ويبقى تحليل فوكوياما من التحليلات الأكثر ثباتاً واتساقاً من الناحية النظرية على الرغم من إساءة فهمه وتشويهه كاريكاتورياً. فقد صمد هذا التحليل تماماً أمام إثبات الوقائع.

«صدام الحضارات»

أراد صموئيل هنتنغتون، وهو أستاذ في جامعة هارفرد ومؤلف غزير الإنتاج، إنشاء «نموذج» استراتيجي جديد (الكلمة الجديدة التي يمكن أن تنسب إلى مفهوم «النموذج»، ولكن المعنى الدقيق الوحيد هو السيميائي) لتوجيه استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية، نظراً لفشل الرؤية الاستراتيجية. وفي الوقت نفسه، وبعد حرب الخليج تحديداً، عملت إدارة التوقعات في وزارة الدفاع، برئاسة بول ولوففيتز (مساعد وزير الدولة المقبل في شؤون الدفاع في إدارة بوش)، على ذلك بنشاط من دون الاكتراث كثيراً إلى وجهات نظر هنتنغتون.

ظهرت عبارة «صراع الحضارات» في مجلة Foreign Affairs في صيف العام 1993. وتم توسيع المقال في كتاب لاحق (بالفرنسية، صدام الحضارات، لأوديل جاكوب، 1997). انطلاقة من حسه المرهف

كان فرانسيس فوكوياما ضحية لنجاح العنوان الذي استخدمه: نهاية التاريخ؟ لم يتم وضع علامة الاستفهام للتأكيد على تحقيق التاريخ من خلال انتصار الولايات المتحدة على الاتحاد السوفياتي.

نهاية التاريخ؟ (الطبعة الفرنسية: نهاية التاريخ والرجل الأخير، فلانماريون، 1992) ظهر الكتاب في صيف عام 1989، وكان الاتحاد السوفياتي لا يزال قائماً. لكن فوكوياما كان يستشعر النهاية. فقد كان عضواً في مركز التوقعات في وزارة الخارجية، ثم محلاً في مؤسسة «راند» (Rand)، ولم يمارس وظائف صنع القرار. أظهر فوكوياما فهماً عميقاً لفلسفة التاريخ وجذور الفكر السياسي الأوروبي. وكان مرجعه الرئيسي الفيلسوف الروسي ألكسندر كوجيف، الذي قام بين عامي 1930 و1950 بقراءة جديدة لهيغل من منظور مثالي، معارض للقراءة المادية والماركسية، شكلت هي نفسها نقداً لفلسفة التاريخ.

وفقاً لفوكوياما، فإن نهاية الحرب الباردة ليست أقل من انتصار الفكرة الديمقراطية التي أنتجت المجتمع الاستهلاكي الليبرالي. فقد كتب «إن جذور السلوك الاقتصادي موجود في الوعي والثقافة»، وهذا يعني أن عالم الأفكار يسبق عالم الاقتصاد. ولهذا السبب يدحض فوكوياما التفسيرات القطعية (الانهيار الاقتصادي) لانهيار السلطة السوفياتية. بالنسبة إليه، فإن اختفاء الشيوعية يضع حداً للمناقسة بين شكلين محتملين للعالم هما تجسيد للأيديولوجية. ويعرف فوكوياما التاريخ بوصفه نتاجاً لصراع في مجال الأيديولوجيا. ولئن كان مفهوم الليبرالية الديمقراطية

لمزيد من الاطلاع

في المجالات الثقافية التي يفترض أنها متجانسة. وبالتالي، فاته إدراك واقع العالم الإسلامي، وتوتراته، وتناقضاته والعنف الداخلي الذي يحركه اليوم إما عمداً أو بطريقة سطحية.

بعد أن أنشأ هذا «النموذج»، قال إنه يعمل بفعالية في معظم أحداث الحرب الباردة. هذه الإرادة لإثبات كل شيء تؤدي إلى اقتراحات غير قابلة للتصديق وغير مقنعة. وقال، مثلاً، إنه يعارض الهجرة من شمال أفريقيا إلى فرنسا، التي ولدت عداً لدى الفرنسيين للهجرة البولندية، والكاثوليكية، قبل قرن من الزمان، مع أن هذه الأخيرة لم تكن تثير المشاكل. تظهر مثل هذه التصريحات المثيرة للقلق جهل واقع كل من الماضي والحاضر. كما يتجاهل هنتنغتون إلى حد بعيد ما أثارتته، في الواقع، الهجرة البولندية إلى فرنسا منذ عام 1890 حتى عام 1900، وكذلك الحد من الهجرة من شمال أفريقيا إلى هذا البلد خلال ثمانينيات القرن العشرين. ويبدو أنه لم يدرك أن الصعوبات تأتي من نوعية الانخراط في المجتمع الفرنسي. ويمكن أيضاً العثور على هذه المقاربات التي لا أساس لها في مجالات أخرى من الحضارة حيث يتم تجاهل التناقضات والتعقيدات.

يعتقد هنتنغتون أيضاً أن حرب الكويت ما بين 1990 و1991، التي قادتها الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون، تشكل تدخلاً من جانب الغرب ضد العالم العربي. مع ذلك، ضم التحالف معظم البلدان العربية نظراً لأن 80% من الحكام وحتى العديد من الشعوب،

والاستشراقي، يجسد هنتنغتون اتجاهات هذه اللحظة: تحديداً انهيار الأيديولوجية الشيوعية، والضعف الواضح للدول - الأمم، وعودة الأيديولوجيات القديمة الخارجة من أعماق الحضارات.

ويشير هنتنغتون تحديداً إلى المدرسة الفكرية للمؤرخ البريطاني أرنولد توينبي، المشبعة بأفكار أوزوالد شبنغلر الهندسية التاريخية العظيمة. وقد كتب: «تتميز الحضارة بالتاريخ واللغة والثقافة والتقاليد، وقبل كل شيء بالدين». وتدخل هذه الحضارات في صراعات، لأنها هي نفسها (ونظم القيم الخاصة بها) التي تحرك الدول، حيث إن القادة يفكرون ويتصرفون وفقاً لمكتسباتهم الثقافية. وبعد أن شهد العالم المعاصر انقسامات إلى ساحات حضارات تمتد جذورها في أعماق التاريخ، يسرد هنتنغتون عدة مجالات ثقافية كبرى: المسيحية نفسها مقسومة ما بين الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس، وهناك الإسلام، والكونفوشية والهندوسية.

وسوف يحدث نموذج جديد من صراعات المستقبل في الحدود الفاصلة بين هذه الحضارات على أساس المطالبة بالهويات الثقافية. ولدعم هذه الفرضية، يستخدم هنتنغتون مجموعة مختارة من البيانات المأخوذة من الأيديولوجيين الراديكاليين. وعلى الرغم من أن هناك العديد منها، إلا أن جودتها ومستوى تمثيلها لم يكونا يوماً موضع تساؤل بطريقة نقدية. بإلغاء التناقضات ما بين الحضارات، يتجنب هنتنغتون التفكير بالتعقيد وعدم التجانس

وعلى رأسها الشعب العراقي، اعتبرت صدام حسين خطراً على سلامتها ورفاهها.

عام 1993، وفيما جميع المؤشرات تدل على تزايد عولمة الاقتصاد، يعطي هنتينغتون الأفضلية للاقتصادات المحلية، قائلاً إن «النزعة الإقليمية الاقتصادية آخذة في الازدياد». وبحسب رأيه، فإن هذه الكتل الإقليمية قائمة على أساس الانتماءات الثقافية والدينية. وفقاً له، فإن نجاحها سوف يعزز إدراك الهوية «الحضارية» والتي هي في الوقت نفسه شرط أساسي للنجاح.

على الرغم من تعرضه للانتقاد من مجموعة من الخبراء المعنيين، إلا أن هذا البناء يملك سلطة إغواء حقيقية مردها إلى طبيعته المبسطة وقدرته على التنظيم. ويتميز أسلوب هنتنغتون بسلاسة فكرية تتيح فهم العالم المعقد من مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وتصنيف العديد من الاشتباكات التي نشبت منذ ذلك الحين ببساطة.

ازدواجية في استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية: المريح أم الزهرة؟

المناظرة الثالثة التي افتتحها روبرت كاغان تشكّل أكثر من تقرير موجز عن اثني عشر عاماً ما بعد الحرب الباردة في الحلف الأطلسي، وهذا التقرير يهدف إلى تطوير العلاقات بين الأميركيين والأوروبيين.

كاغان الذي ينتمي إلى المحافظين الجدد، والمقرب من ويليام كريستول، يجسد ازدواجية في التفكير الاستراتيجي الأمريكي حيث يتم تثبيته في مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، ثينك تانك (مركز البحوث) الذي يظهر بأنه ليبرالي (وهذا يعني من اليسار، بالمعنى الأمريكي).

يستخدم كاغان عملية منهجية، مميزة جداً من «المحافظين الجدد»، والتي يمكن تعريفها على أنها موضوعية وتلخيصها بالصيغ التالية «دعونا نتوقف عن التظاهر. دعونا نواجه الحقائق».

هذا الموقف الفكري يشير عمداً إلى روح جورج واشنطن في «خطاب الوداع» الذي ألقاه عام 1797، والذي دعا فيه إلى دبلوماسية أمريكية عقلانية بحت، تركز على المصلحة الوطنية، وتتجرد من أي شعور.

كتب كاغان ما يلي: «لقد حان الوقت لوقف الادعاء بأن الأوروبيين والأمريكيين يتقاسمون رؤية واحدة للعالم... تبتعد أوروبا عن القوة، وتنتقل إلى عالم ضبط النفس المكون من قوانين وقواعد، مع مفاوضات والتعاون عبر الحدود الوطنية». وستدخل جنة من السلام والازدهار النسبي. فيما تشير الولايات المتحدة نحو عالم تسوده الفوضى، بحسب هوبز (Hobbes)، دون قوانين أو قواعد، حيث يتوقف كل شيء على استخدام قوة السلاح. يستوحي الأميركيون من المريح، والأوروبيون من الزهرة». (في القوة والضعف، بلون، 2003) la Puissance et la Faiblesse, Plon, 2003. مع الأخذ في الاعتبار تعليقات القادة الأوروبيين مثل وزير الشؤون الخارجية الألمانية والزعيم السابق لحزب الخضر، يوشكا فيشر، يعتقد كاغان أن النظام الأوروبي الراض لمعاهدة ويستفاليا في العام 1648 (توازن القوى)، قد دخل المنطق السياسي «ما بعد الحداثة» من النوع الكانطي، الذي لم يعد يقوم على توازن (وخلال) السلطة، ولكن على رفض استخدام القوة العسكرية كأداة للسياسة.

هذا الرأي هو صحيح بلا شك في ما

لمزيد من الاطلاع

النوية وفي الخارج عبر قدرات الإسقاط كالرش الجوي البحري (حاملات الطائرات). وهنا مرة أخرى تبعد الحجة أي شيء يمكن أن يتعارض مع اتساقها الواضح. فهي ليست برهانية بل استفزازية، ومن وجهة النظر هذه، يتم الوصول إلى الهدف. ومن يدري؟ يبحث الصناع والفاعلون دائماً عن النظريات التي تبرر أعمالهم (بأثر رجعي) عن طريق إعطائها أساساً فكرياً.

يتعلق بالمحتوى الأوروبي، حيث دخلت الولايات المتحدة في شراكة أكثر عمقاً لرفض القوة كوسيلة لتسوية المنازعات التي قد تعارضها. ولكن عندما يتعلق الأمر ببقية العالم، والرؤى بين الحكومات الأوروبية التي تتباعد أحياناً كل واحدة وفقاً لمصالحها وتقاليدها، فإنه يعود إلى دور القوة العسكرية مع كل التحولات التي تتطلبها مختلف حالات الاشتباكات. يضع كاغان عزم فرنسا والمملكة المتحدة جانباً للحفاظ على أساليب الردع عبر الأعمال

فهرس المصطلحات

- الخليج (حرب) 66، 67، 66، 67
دارفور 89، 32، 89
دنج شياوينغ 112
ديغول، شارل 74
دينكورب 68
راتزل، كارل 26
راغان، روبرت 121، 50، 50
رواندا 89، 86، 43
روزفلت، فرانكلين 19
روسيا 107، 65، 58، 52، 44، 39
روما 71، 16
رومانيا 75
ريغان، رونالد 62
زاباتا، إميليانو 25
سان فرانسيسكو (خريطة) 81
ساكس - بيكو (اتفاقية) 53
سبراتي (جزر) 32
شبنغلر، أوزولد 120
ستالين، جوزيف 73، 16
سربلانكا 113
السلام (مكاسب) 15
السودان 113
سوريا 103
السويد 75
سيادة البيض 38
سيراليون 13، 76
سينكيانغ 40، 13
الشرق الأوسط الكبير 107، 45، 44
شركة الهند 36
شمال شرق (البرازيل) 33
شنگهاي (مجموعة) 52
صربيا 27
الصلب الأحمر 46
الصومال 89
الصين 19، 28، 29، 32، 36، 44، 48
112، 107، 86، 82، 72، 58، 54
طبريا (بحيرة) 33
الظاهري، أيمن 102
عبد الناصر، جمال 79
العراق 103، 62، 31، 30
- بسمارك، أوتوفون 15، 12
بلاكوتر 68
البلقان 113، 76، 65، 44، 38
بن لادن، أسامة 102، 37
البناء، حسن 102
البندقية 41
بنغلادش 32، 33
بواريه، لوسيان 73
البوسنة 25، 47، 38، 75، 76، 89
بوش، جورج هيرت 15
بوغواش 77
بيرل، دانيل 88
بيغن، مناحيم 96
تايوان 125
التحالف المقدس 72
ترانسستريا 38
تركيا 33، 50، 52، 102
تشرشل، ونستون 10، 81
تشيكوسلوفاكيا 27
تيمور الشرقية 113
تيمورلنك 43
تبيت، جورج 95
الجامعة الآرية 38
الجبهة الوطنية لتحرير كورسيكا
(FLNC) 99
الجزائر 47
الجزيرة 88، 37
الجماعات الإسلامية المسلحة 47
جماعة الجيش الأحمر (RAF) 99
الجمعية الاقتصادية للفحم والفولاذ
(CECA) 74
جمهورية تشيغيا 75
جنوب أفريقيا 65
الجيش الأحمر الياباني 99
الجيش الجمهوري الإيرلندي
(IRA) 97
حزب العمال الكردستاني 74، 99
حزب الله 103
حسين، صدام 27، 99
خان، عبد القادر 55
- الاتحاد الأوروبي 38، 67، 74، 75،
107، 96، 86
الاتحاد السوفياتي 12، 86
اتحاد العلماء الأميركيين 77
اتحاد العلماء المهتمين 77
اتحاد غرب أوروبا 75
أتينا 49
الإخوان المسلمين (منظمة) 36
أدونور، كونراد 74
الأرجنتين 54
أردان دي بيك، تشارلز 50
الإرهاب (مكافحة) 106
إرهاب 95، 96
أرون، ريمون 10
أسام 33
إسبانيا 25
إسرائيل 24، 65
اسكتلندا 41
أسلحة بيولوجية 92
أسلحة كيميائية 93
آسيا الوسطى 44
إشارة الذكاء 64
إشلون (شبكة) 30، 64
أفغانستان 27، 28، 44، 67
إقليم الباسك 41
ألبانيا 38
ألمانيا 75، 74
الإليزيه (معاهدة) 74
الأمم المتحدة (وثيقة) 26، 75
أوزبكستان 44
أوم شنريكيو (طائفة) 93
إيراسموس 107
إيران 77، 62، 55
إيزنهاور، دوايت 19
باكستان 24، 54
البرازيل 54، 107
برنارد دو كليرفو 36
بريجنيف، ليونيد 27
بريطانيا العظمى (المملكة المتحدة)
121، 82، 78، 58، 55، 48

- العربية 88
 عرفات، ياسر 96
 عزام، عبد الله 102
 عصابت مسلحة 107
 عصبة الأمم 80
 غاليليو 61، 62
 غاندي، موهandas ك. 78
 غرينبيس 77
 غواتيمالا 33
 غوانتانامو 48
 الغابون 38
 فردان 28
 فرنسا 28، 49، 54، 58، 74، 82، 121
 فلسطين 40
 فورتيتود (عملية) 17
 فوكياما، فرانيس 119
 فيتنام (حرب) 10، 87
 فيتنام 28، 124
 فيشر، جوشكا 121
 فييرا دو ميللو، سيرجيو 79
 القاعدة 99، 101، 102
 القذافي، معمر 55، 58، 86
 قرطاج 16
 قطر 37
 قوات التدخل في كوسوفو
 (KFOR) 26
 القوقاز 40
 قرغيزستان 52
 كابيندا (مقاطعة) 33
 كازاخستان 50
 كانت، إيمانويل 74
 الكتلة الأوراسيوية 43
 كردستان 40، 52
 كريستول، وليام 121
 كشمير 44
 كلارك، بادلي 17
 كلوففيتز، كارل فون 16، 29
 كمبوديا 28، 47
 كندا 75
 كوبا 107
 كوجيف، ألكسندر 119
 كورسيكا 41
 كوريا (الحرب الـ) 10، 24
 كوريا الشمالية 55، 59، 62، 103، 107
 كوسوفو 27، 28، 46، 69، 76، 82، 89
 الكونغو - زائير 30، 49
 الكويت 15، 31، 87
 كينسجر، هنري 77
 كيم جونج إيل 59
 كينز، جون ماينار 15
 كينغ، مارتن لوثر 79
 لورنس، توماس إ. 45
 لومباردي 41
 لي دوک تو 77
 ليبيا 86
 ماك آرثر، دوغلاس 14
 ماهان، الفرد 18، 19
 مجلس الأمن 82
 المحكمة الجنائية الدولية
 (CPI) 86
 محكمة العدل الدولية (CIJ) 83
 المراقبة، (إجراءات) 94
 مرتزقة 68
 مردوخ، روبرت 37، 87
 مركب صناعي - عسكري 19
 مصر 103
 معاهدة الحد من انتشار الأسلحة
 النووية 54
 مقدونيا 38
 المكسيك 25
 من دون ضحايا (حرب) 42
 منطقة اقتصادية حصرية 31
 منظمة إيتا 41، 99
 منظمات غير حكومية 77، 112
 منظمة الاتحاد الأفريقي 76
 منظمة الألوية الحمراء 99
 منظمة الأمم المتحدة 28، 59، 75، 79، 80، 81، 82
 منظمة الأمم المتحدة للتعليم والعلوم
 والثقافة (أونيسكو) 83
 منظمة الأغذية والزراعة (FAO) 82
 منظمة التحرير الفلسطينية 96
 منظمة الدول الأمريكية 86
 منظمة الصحة العالمية 82
 منظمة العمل الدولية 83
 منظمة الوحدة الأفريقية 76، 86
 منظمة حلف شمالي الأطلسي 10، 17، 28، 37، 38، 69، 72، 93، 107
 مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا
- 86 (CSCE)
 مور، توماس 77
 المؤسسة الدولية للسلام في
 ستوكهولم 77
 مونتيغو باي (اتفاقية) 31
 مونتيديو 27
 ميلوسوفيتش، سلوبودان 37، 39
 نظام التحكم بتكنولوجيا الصواريخ
 61
 نظام تحديد المواقع العالمي
 (GPS) 61، 62
 نمور التاميل 88
 نيتشه، سيرغي 97
 نيوز كورب 87
 هتلر، أدولف 17، 72
 هيرست، رندولف 89
 همرشولد، داغ 79
 هنتنغتون، صموئيل 119
 الهند 24، 39، 48، 54، 107
 الهندوراس 33
 هنغاريا 75
 هوبز، توماس 46، 121
 هوشوفر، كارل 26
 هيروهيتو (الإمبراطور) 15
 الهيئة العليا للاجئين (HCR) 83
 وارسو (معاهدة) 10، 27، 122
 واشنطن، جورج 121
 الوكالة الدولية للطاقة الذرية 59
 الولايات المتحدة الأمريكية 19، 28، 31، 39، 42، 48، 55، 58، 62، 65، 67، 69، 82، 86، 95، 107
 ولفوفيتز، بول 13، 119
 وستفاليا (معاهدة) 26، 121
 ويكليبيكس 88، 89
 ويلسون، وودرو 80
 اليابان 3، 44، 72، 107
 يوغوسلافيا 38، 86

الجيوسياسية الجديدة

دخل العالم منطقاً جديداً من الحرب والسلام منذ سقوط جدار برلين. فنحن بصد «ثورة في الأعمال العسكرية» لدى جيوش القوى العظمى، وتحديداً جيش الولايات المتحدة الأمريكية: تقدم تكنولوجيا مدهل (إلكترونياً، وعلى صعيد الصواريخ والصواريخ المضادة)، وتنظيمات جديدة (احترافية الجيوش والخصخصة، استخدام المرتزقة في توفير الأمن). ويتعلق الأمر، في الوقت عينه، بكيفية التعامل مع التهديدات المستجدة (الإرهاب، سباق التسلم النووي) والبحث عن شروط إرساء سلام دائم وفق قوانين اللعبة الدولية الجديدة. ويندرج هذا الكتاب في خمسة فصول تصف المؤشرات الجيوسياسية للقرن الحادي والعشرين من خلال تبلور ثنائية الحرب والسلام، وهي:

- الحرب والسلام: توأمان أبديان

- لماذا تنشب الحروب؟

- الحرب والتقنيات المتطورة

- صانعو السلام

- الملفات الحالية الكبرى

ويتضمن الكتاب أيضاً خرائط وصوراً

ومقالات تحليلية.

فرنسوا جيريه، دكتوراه في التاريخ (درجة الأستاذية)، مستشار لشؤون الدفاع لدى وسائل إعلام فرنسية وأجنبية، ورئيس المعهد الفرنسي للدراسات الاستراتيجية (IFAS)، يشغل كرسي الاستراتيجية الافتراضية في المدرسة الحربية الفرنسية، وله مؤلفات عدة في الجيوسياسية، منها «معجم الفكر الاستراتيجي» و«لماذا الحروب؟» الصادران عن دار «لاروس».

ISBN 978-603-8138-54-0



9 786038 138540